ق والقرآن المجيد

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني
تصدر عن وحدة الإصدارات
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٧١/ السنة التاسعة
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

التمسك بالقرآن سبيل النجاة

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني
تصدر عن وحدة الإصدارات/ قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٧١ / السنة العاشرة / ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣
زورونا: www.aljawadain.org

٤

٥ اختبارات مركز القرآن الكريم
٨ مشاركة في معرض القرآن الكريم
١٠ استحق العقاب
١٨ مسجد نُقطَ فيه القرآن الكريم
٢٦ مؤاخذات على نظرية الشورى
٣٧ العبودية لله معراج الصالحين

المشرف العام
م. جلال علي محمد
رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي
سكرتير التحرير
حسن شاكر الجبوري
السلامة الفكرية
الشيخ عماد الكاظمي
التدقيق اللغوي
عامر عزيز الأنباري
محرر الأخبار
حسين علي السعدي
التصميم والإخراج الفني
زيد عبد الأمير موسى

كلمة العدد

التمسك بالقرآن

في ظل ما نعيشه من استهدافٍ واضحٍ للقيم والأخلاق والمبادئ الحقة التي دعا إليها ديننا الحنيف وأمر بها القرآن الكريم، تتواصل الدعوات المضللة التي يطلقها أهل الباطل لنشر ثقافة التحرر (الكاذبة) من التعاليم والضوابط التي جبل عليها مجتمعنا المسلم الملتزم بأخلاقيات الدين وحدوده.

وقد اتسع نطاق هذا الاستهداف الممنهج الهدام ليشمل التعرض لبعض آيات القرآن الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت، الآية ٤٢)، ومحاولة التشكيك بها وعدم مطابقتها للواقع الذي نعيشه؛ وهذا هو ديدن كل منحرف ﴿اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾، هدفه الرئيس اغتيال ثقافة التمسك بالقيم والثوابت الإسلامية، والسير بالمجتمع نحو الرذيلة واتباع الأهواء والشهوات، وهو ما نهانا عنه المولى تبارك وتعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة الجاثية، الآية٢٣).

من هنا نجد من الأهمية بمكان العمل على إفشال هذا المخطط الخبيث بكل ما أوتينا من قوة وإمكانيات، وذلك من خلال كشف زيفه وأكاذيبه وفضح أساليبه الرخيصة من جانبٍ، والحثّ على نشر الثقافة القرآنية وبثّ الوعي ـ بأعلى درجاته ـ بكل ما يتعلق بكتاب الله العزيز من فهمٍ وحفظ وتدبر ومعانيه من جانبٍ آخر. فسبيلنا الوحيد المنجي من هذه المخاطر التي تهدد كيان المجتمع المسلم هو تمسكنا بالقرآن الكريم واتباع أوامر الله تبارك وتعالى واجتناب نواهيه، والتأسّي بنبيه الأكرم ﷺ واتباع منهج الأئمة الهداة الميامين عليهم السلام من بعده، فهو السبيل الكفيل لعدم الضلال واتّقاء شرور ما نتعرض له من أهوال.

فلنستجِبْ إلى ما أمرنا به المولى عز وجل من دعوة لهداية النفوس وإحياء القلوب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (سورة الأنفال، الآية٢٤).

سكرتير التحرير

مركز القرآن الكريم يستضيف

رابطة القرآنيين في محافظة البصرة

استضاف مركز القرآن الكريم وضمن فعاليات محفل ترانيم السماء الأسبوعي الذي تقيمه الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة كوكبة من قرّاء رابطة القرآنيين في محافظة البصرة، ومنطقة (أروند) في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وحضر فعاليات المحفل الذي أقيم في رواق سيدنا عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام عدد من الأساتذة والمختصين بالشأن القرآني، وجمع غفير من زائري الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام.

وشهد المحفل مشاركة كلّ من: قارئ العتبة المقدسة الخادم حسين مع الله، والقارئ وسام عبد السادة من رابطة القرآنيين في البصرة، ومن الجمهورية الإسلامية في إيران القارئ مهدي كيفي، حيث صدحت حناجرهم بتلاوات قرآنية مباركة تعطّرت بها أجواء الصحن الكاظمي الشريف.

كما تضمنت فقرات المحفل إلقاء محاضرة دينية بعنوان (إضاءات قرآنية) لفضيلة الشيخ منير العامري، استهلها بقوله تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، بيّن خلالها كيفية التعامل مع فتن العصر التي تحيط بالمجتمع الإسلامي، وآلية معالجة الأفكار الضالة والشبهات المنحرفة، والسعي للوصول إلى صيانة حرمة الدين وصلاح المجتمع، مؤكداً فضيلته ضرورة التأسي بسيرة سيدنا القاسم ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، واتخاذها طريقاً للتعامل مع كتاب الله تعالى القرآن الكريم.

واختتمت فعاليات المحفل مشاركة لفرقة إنشاد الجوادين، وفرقة إنشاد مصباح الهدى الدولية بمجموعة من القصائد الولائية، واختتم بتقديم الشهادات التقديرية والهدايا إلى المشاركين.

مركز القرآن الكريم يجري الاختبارات الدورية للحَفَظَة

تحرص الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة على رعاية المسيرة القرآنية المباركة، وتنمية الوعي القرآني، والاهتمام بتنشئة جيلٍ واعٍ متسلح بالإيمان والمفاهيم الأخلاقية وحبَّ كتاب الله تبارك وتعالى، وتجلت تلك الجهود المباركة في إقامة العديد من النشاطات والدورات والمحافل القرآنية المتنوعة، حيث أجرى مركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة في هذا السياق الاختبارات الدورية لطلبتها ممن حفظوا جزءاً واحداً، وكذلك للذين حفظوا ثلاثة أجزاء وخمسة وعشرة جزء من كتاب الله المجيد ضمن الدورات التي أقامها مركز القرآن الكريم، بإشراف وحدة التعليم القرآني، ومشاركة اللجنة التحكيمية لتقييم المتسابقين والمتخصصين في الشأن القرآني التي ضمت كلاً من: القارئ فراس الطائي رئيساً، والحافظ مكي السعدي والحافظة بتول جبار في مادة جودة الحفظ، والحافظة آمال المظفر في مادة الوقف والابتداء، والحافظة زينب عبد الكريم في مادة الصوت والنغم، والخادمة إسراء حسين في مادة أحكام التلاوة والتجويد. حيث جرى اختبار (١٥٠) مشاركة من البنين والبنات، وخصصت للفائزين هدايا عينية من بركات الإمامين الكاظمين عليهما السلام تشجيعاً لهم وتثميناً لمثابرتهم في الحفظ، كما أفرزت الاختبارات مستويات عالية في الحفظ والإتقان ودقة القراءة مع مراعاة أحكام التلاوة.

تجدر الإشارة إلى أن إقامة هذه النشاطات تهدف إلى ترسيخ تعلم القرآن الكريم حفظاً وتلاوةً، ودعم المسيرة القرآنية ورعاية المواهب الإبداعية وتمكينها من تمثيل العراق في المحافل الوطنية الدولية.

المشاركة في اجتماع اللجنة القرآنية العُليا في ديوان الوقف الشيعي

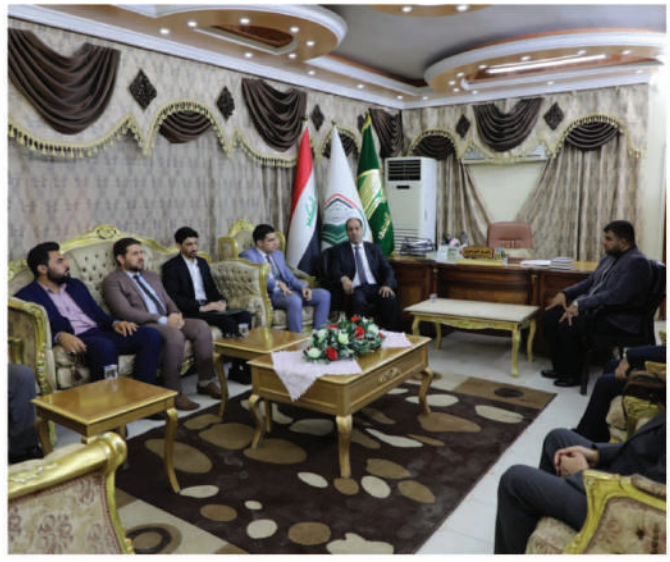

شارك وفد مركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة في اجتماع اللجنة القرآنية العُليا لإدارة شؤون العمل القرآني في ديوان الوقف الشيعي والعتبات المقدسة والمزارات الشريفة، الذي عقده المركز الوطني لعلوم القرآن بحضور مديره الدكتور القارئ رافع العامري، وبمشاركة مدراء المراكز القرآنية في العتبات المقدسة والمزارات الشريفة.

وناقش المجتمعون محاور النظام الداخلي للجنة، واستعراض أهم النشاطات القرآنية التي من المؤمل أن تتولى القيام بها ومنها اليوم العالمي للقرآن الكريم، كما أكدت اللجنة على ضرورة تكثيف جهودها وتفعيل التعاون المشترك في مختلف المجالات القرآنية سعياً لتحقيق التكامل بين المراكز والمؤسسات العاملة في خدمة القرآن الكريم.

تلبية دعوة لحضور محفل مؤسسة سعيد بن جبير

في إطار سعي الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة لتفعيل روابط التواصل القرآني، وإسهاماً منها في نشر الثقافة القرآنية من خلال تعاونها وتواصلها مع مختلف المؤسسات القرآنية، وبتوجيه من أمينها العام الدكتور حيدر حسن الشمّري لبّى وفد خدّام العتبة المقدسة في مركز القرآن الكريم دعوة حضور المحفل القرآني الذي أقامته مؤسسة سعيد بن جبير لعلوم القرآن الكريم في محافظة ذي قار العزيزة، لمناسبة تخرج الدورة الخامسة ممن حفظ القرآن الكريم بكامل أجزائهِ.

وتضمنت فعاليات المحفل المبارك باقة من التلاوات القرآنية لنخبة من الحافظين والقراء المشاركين فيه، ليختتم بعدها بتكريم عدد منهم.

تأتي مشاركة وفد العتبة الكاظمية المقدسة القرآني في هذا المحفل لتؤكد حرصها الكبير على نشر رسالتها الإنسانية السامية، ودعمها للمشاريع القرآنية، واهتمامها الكبير بديمومة هذه النشاطات، ورعاية المواهب والطاقات الشابّة وتنميتها وتشجيعها والاحتفاء بها عند مشاركتها في المسابقات وتمثيل العراق في المحافل القرآنية المحلية والدولية.

مركز القرآن الكريم يحصل على المركز الثالث في

المسابقة القرآنية الفرقية الوطنية

شارك مركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة في المسابقة القرآنية الفرقية الوطنية الثانية التي أقامتها الأمانة العامة للمزارات الشيعية الشريفة / قسم الشؤون الدينية وعلوم القرآن الكريم، في مزار الصحابي الجليل ميثم التمار ﷺ، بحضور ومشاركة عددٍ من القرّاء والحفظة والمهتمين بالشأن القرآني، وتُليت خلال المسابقة باقة من التلاوات القرآنية المباركة بمشاركة ثمان فرق مَثّلها (٢٧) متسابقاً، وقد حصل فريق العتبة الكاظمية المقدسة المتمثل بكل من الخادم القارئ باقر أحمد سهر، والخادم القارئ مصطفى حميد فاضل، والحافظ علي حسون على المركز الثالث على مستوى العراق.

وتجدر الإشارة أن الأمانة العامة للعتبة الكاظمية تحرص على المشاركة في هذه الفعاليات والمسابقات انطلاقاً من نهجها المستمر وحرصها على الحضور الفاعل فيها، واهتمامها البالغ بديمومة النشاطات القرآنية، كما تؤكد على تعزيز الثقافة القرآنية بين الأوساط المجتمعية، وتوطيد روابط التواصل مع مراكز القرآن الكريم في العتبات المقدسة والمزارات الشريفة خدمةً لكتاب الله العزيز، فضلاً عن دعمها المتواصل واللامحدود للمواهب القرآنية والطاقات الشابة ورعايتها.

مركز القرآن الكريم

يشارك في مهرجان

مُلتقى الشهادة الوطني الثالث

شارك وفد مركز القرآن الكريم في مهرجان مُلتقى الشهادة الوطني الثالث الذي أقامته رابطة القرآنيين في محافظة البصرة بالتعاون مع حسينية الكوثر في مدينة المعقل، وتضمنت فعاليات الملتقى إجراء المسابقة الفرقية السنوية الثالثة في تفسير وحفظ وتلاوة القرآن الكريم، والردة الحسينية بحضور وفود العتبات المقدسة وعدد من ممثلي الدور والمؤسسات القرآنية.

وحاز خادم العتبة الكاظمية المقدسة علي ماهر على المركز الأول في مسابقة الردة الحسينية، وكذلك حصل الخادم سمير هاشم على المركز الأول في مسابقة فن الرسم.

وفي ختام المهرجان أثنى وفد العتبة المقدسة المشارك على جهود المنظمين لفعالياته، مؤكداً على ضرورة إقامة هكذا فعاليات قرآنية مباركة، وتفعيل الروابط القرآنية وفتح آفاق التعاون والتواصل التي من شأنها أن تخدم المسيرة القرآنية.

مشاركة فاعلة للعتبة الكاظمية المقدسة

في معرض القرآن الكريم

تزامناً مع اليوم العالمي للقرآن الكريم، حرصت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة متمثلة بأمينها العام خادم الإمامين الكاظمين الجوادين الدكتور حيدر حسن الشمّري، على المشاركة بمعرض القرآن الكريم الذي أقامته الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة في منطقة ما بين الحرمين الشريفين.

وشهد جناح العتبة الكاظمية المقدسة مشاركة مركز القرآن الكريم، ومركز الكاظمية لإحياء التراث بعرض مجموعة من النتاجات والمؤلفات والمخطوطات النادرة ذات القيمة العلمية العالية والتي تعكس العمق التاريخي لمدينة الكاظمية المقدسة وإرثها الفكري والحضاري والمعرفي والإنساني في العالم الإسلامي، فضلاً عن إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية التي تعنى بالقرآن الكريم.

كما جرى عرض مجموعة من نتاجات ورش النقش على الخشب والخط والزخرفة تمثلت باللوحات الفنية الجديدة التي تميزت بروعتها وجمالها لما احتوته من المعالم المشرقة للصحن الكاظمي الشريف، والمدينة المقدسة وبعض الأحاديث والوصايا النورانية للأئمة الأطهار عليهم السلام بأسلوب فني قوامه الأصالة والرُقي والإبداع.

كما تضمنت فعاليات جناح العتبة المقدسة فقرة تصحيح قراءة سورة الفاتحة المباركة، إذ استقطبت هذه الجهود والأعمال الفنية اهتمام وإعجاب الشخصيات المهتمة بالشأن القرآني والفكري والثقافي من زائري المعرض، وجاءت مشاركة العتبة الكاظمية المقدسة في هذا المُلتقى للإعلان عن رسالتها الإنسانية والتعريف بفكر أهل البيت عليهم السلام وعلى وجه الخصوص الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام، وممارسة دورها المبارك كونها معلماً من معالم الإشعاع الثقافي والفكري.

قصيدة حروف النور

الشاعر المصري (مصطفى الجزار)

أكْـرِمْ بقـومٍ أكْرَمُـوا القُرآنـا ... وَهَبُـوا لَـهُ الأرواحَ والأبْـدَانـا

قومٌ ..قد اختـارَ الإلـهُ قلوبَهُـمْ ... لِتَصِيرَ مِنْ غَرْسِ الهُـدى بُسْتَانـا

زُرِعَتْ حُروفُ النورِ .. بينَ شِفَاهِهِمْ ... فَتَضَوَّعَتْ مِسْكـاً يَفِيـضُ بَيَانَـا

رَفَعُوا كِتابَ اللهِ فـوقَ رُؤوسِهِـمْ ... لِيَكُونَ نُوراً في الظـلامِ ..... فَكَانـا

سُبحانَ مَنْ وَهَبَ الأُجورَ لأهْلِهَـا ... وَهَدى القُلُوبَ وَعَلَّـمَ الإنسانـا

يا ختمةَ القـرآنِ جئتِ عظيمـةً ... بِجُهُـودِ قَـوْمٍ ثَبَّتُـوا الأركانـا

بَدْءاً مِـنَ (الكُتَّـابِ)، أوَّلِ نَبْتَـةٍ ... غُرِسَتْ، فأَثْمَرَ عُوْدُهَـا فُرْسَانـا

حَمَلُوا على أكتافِهِـمْ أحلامَهُـمْ ... يَبْنُـونَ صَرْحـاً بِالتُّقَـى مُزْدَانـا

لَبِنَاتُهُ اكتملـت بحفـظِ كتابِهـم ... كَالنُّورِ حِينَ يُتِـمُّ بَـدْرَ سَمَانـا

يا ختمة القرآن أهـلًا .. مَرْحَبـاً ... آنَ الأوَانُ لِتُكْمِـلـي البُنْيَـانـا

جُهْدٌ تَنُوءُ بِـهِ الجبـالُ تَصَدُّعـاً ... وَتَفيـضُ مِنْـهُ قُلُوبُنَـا عِرْفَانـا

مِنْ كُلِّ صَوْبٍ جاءَ قَلْـبٌ خَافِـقٌ ... يَسْتَعْـذِبُ التَّرْتيـلَ والإتقـانـا

غُرَبَاءُ مِنْ كُلِّ البِقَـاعِ تَجَمَّعُـوا ... هَجَرُوا الدِّيَارَ وَوَدَّعُـوا الأَوْطَانـا

غُرَبَاءُ لَكِنْ قَـدْ تآلَـفَ جَمْعُهُـمْ ... صَـارُوا بِنِعْمَـةِ رَبِّهِـمْ إِخْوَانـا

يَا رَبِّ أكْرِمْ مَـنْ يَعيـشُ حَيَاتَـهُ ... لِكِتَابِـكَ الوَضَّـاءِ لا يَتَـوَانـى

يَا مُنْزِلَ الوَحْـيِ الْمُبِيـنِ تَفَضُّـلًا ... نَدْعُوكَ فَاقْبَلْ يَـا كَرِيـمُ دُعَانـا

اجْعِلْ كِتَابَـكَ بَيْنَنَـا نُـوراً لنـا ... أَصْلِحْ بِهِ مَـا سَـاءَ مِـنْ دُنْيَانـا

استحقوا العقاب

◆ الشيخ طه حافظ خميس

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١)

١- سورة الأعراف: الآية ٨٠.

الملاحظ أن القرآن الكريم تحدث عن مجموعة من الأنبياء (صلوات الله عليهم) وذكر قصصهم بالإجمال لغايات وأهداف لا الغرض منها السرد التاريخي لحياتهم أو كتابة أحداث الرسالات، بل الغرض الأساس من قصصهم هو انتزاع العبرة واستنباط القوانين والسنن. ولما كان تأثير القصة في تحقيق هذه الأهداف يرتبط بمدى إيمان الجماعة بواقعيتها وادراكهم لحقائقها، كانت القصة المنتزعة من تاريخ الأقوام السابقة أكثر قبولاً عند المتلقي، وذلك لتشابه واقعاتها وظروفها وحياتها، وبهذا تكون القصص أكثر انسجاماً مع الهدف القرآني. وعندها يحصل التفاعل ويحدث التغيير في المجتمعات والشعوب. ومن بين القصص التي ذكرت في القرآن الكريم قصة نبي الله لوط (عليه السلام) حيث أخبرنا الله (عز وجل) بالأحداث التي جرت في قومه ومحنة نبي الله (عليه السلام)، وذنوبهم والعقاب المنزل عليهم.

الرؤية الأولى

كانت قرى قوم لوط بين الحجاز والشام. وكانت أحسن بلاد الله وأكثرها مياهاً وأشجاراً وحبوباً وثماراً[1]، وكان أهلها معروفين برداءة الأخلاق وعدم التعفف عن المعاصي والمنكرات، ولا يستحيون من إتيان الفاحشة علناً في محافلهم ونواديهم، ولا يستنكرون المنكرات في أقوالهم وأفعالهم، وإتيان الرجال فيها ويرى بعضهم بعضاً، ولا يردعهم عن ذلك خجل أو حياء[2]. وبذلك استغنى الرجال بالرجال باللواط، والنساء بالنساء بالمساحقة، ولم يسبقهم إلى هذا الفعل أحد من العالمين. قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ﴾[3]، ومن المنكرات التي كانوا يفعلونها إتيان المنكر في نواديهم، وقطعهم الطريق. قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾[4].

الرؤية الثانية

أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم نبيه لوط ﷺ ينهاهم عن عمل الفاحشة ويرشدهم إلى سبل النجاة، فكان من خبائثهم: تكذيبهم لنبيهم وتهديدهم له بالإخراج من وطنهم. وتمادوا في طغيانهم ولم يستجيبوا لوعظ نبي الله لوط ﷺ وتحذيره، وأصروا على فعل الفاحشة، ومقابلته بالسخرية والاستهزاء وتهديده بالطرد من قراهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾[5]. وبعد اليأس من إصلاحهم وإصرارهم على ارتكاب المعاصي وعدم تصديق نبي الله لوط ﷺ وأنه مرسل من الله تعالى طلبوا أن يدع عليهم لإنزال العذاب. كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[6]. فطلب لوط ﷺ من الله تعالى أن ينزل عليهم العذاب وذلك بعد أن راودوه عن ضيفه، وهم الملائكة الذين أرسلوا ليوقعوا العذاب على القرى التي كانت تعمل الخبائث. فنزل عليهم العذاب فجعل عاليها سافلها وأمطرها بحجارة من سجيل. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾[7]. وترك أرضهم جرداء قفراء لتكون آية لمن يعتبر من الأقوام والأجيال اللاحقة، وتسمّى الأرض المقلوبة لا زرع بها ولا ضرع ولا حشيش، وبقيت بقعة سوداء فرشت فيها حجارة، ذكر أنّها

١- آثار البلاد واخبار العباد، زكريا القزويني، ص ٢٠٢.
٢- قصص القرآن الكريم، عبد الحسين الشبستري، ص٥٦٠.
٣- سورة الأعراف: الآية ٨٠.
٤ - سورة العنكبوت: الآية ٢٩.
٥- سورة الشعراء: الآية ١٦٧
٦- سورة العنكبوت : الآية ٢٩.
٧- سورة هود: الآية ٨٢.

الحجارة التي أمطرت عليهم وعلى عامتها كالطابع[8] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[9].

الرؤية الثالثة

أنجى الله تعالى لوطاً ﷺ وأهل بيته من العذاب إلّا امرأته أصابها العذاب مع قومها، لأنها كانت راضية بأفعال قومها فهلكت بهلاكهم[10]. وجاء في الشريعة الإسلامية حرمة اللواط والسحاق، وجاء تحذير الرسول الأعظم ﷺ من هذه الفاحشة العظيمة فإنه ﷺ قال: (مَن وَجَدتُموهُ يَعمَلُ عَمَلَ قَومِ لُوطٍ ، فاقتُلوا الفاعِلَ والمَفعولَ بِهِ)[11].ومن هذا الحديث يفهم أنّ عقوبة هذه الفعل القتل للفاعل والمفعول. وقال الامام الكاظم ﷺ: (لو كان ينبغي لأحد أن يرجم مرتين لرجم اللوطي، وعليه مثل حدّ الزاني من الرجم والحدّ، محصناً أو غير محصن)[12]. واختلف الفقهاء في عقوبة من فعل فعلة قوم لوط في البالغ وغير البالغ، إلّا إنها عقوبة مغلظة وشديدة (القتل أو الرمي من شاهق، أو يهدم عليه حائط، أو الحرق بالنار).

الرؤية الرابعة

لعلّ ذكر هذه الفاحشة يخدش الحياء ويثير الاشمئزاز، فإنها تفسد الدين والدنيا، وبها تُهدم الأخلاق وتُمحق الرجولة، ويفسد المجتمع، ويذهب الخير وتضمحل البركة، بل إنها معول هدم وخراب، وسبب ذلّ وعار، والفطرة السليمة تمقته، والعقول السليمة ترفضه، والشرائع السماوية تحرمه، والأعراف الصحيحة تزجره.

الرؤية الخامسة

أصبح الذنب العظيم والكبيرة المحققة قانوناً يأوي إليه أصحاب هذه الرذيلة؛ وذلك بعد أن أخذت الحكومات المعاصرة سن قوانين تحمي من يمارس فعل قوم لوط وتسمية هذه الفاحشة تسمية معاصرة، فاطلقوا عليها اسم المثلية، وأباحوا زواج الرجل من الرجل والأنثى من الأنثى، وأوجدوا لهم راية خاصة بهم يرفعها شياطين الإنس. وبعد هذا العلن في ارتكاب هذه المحرمات والكبائر وقبولها في المجتمعات، وبالخصوص في أوربا وأمريكا، وهذا ما يزيد من غضب الله تعالى على هذه المجتمعات. فالمتوقع أن تضمحلّ النعم والبركات التي يتنعمون بها، ويحلّ بديارهم الخراب كما خربت قرى قوم لوط. ومع الأسف الشديد أن بعض الدول الإسلامية العربية قد كثر فيها المثليون وسكت أهلها عن ردعهم فأصابهم الخراب، وتعطلت مصالحهم، ومحقت نعمهم، وأصبحوا في تسافل مستمر، ولعذاب الآخرة أشدّ وأخزى. قال رسول الله ﷺ: (إنّ أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي عمل قوم لوط، ألا فليرقب أمتي العذاب إذا تكافأ الرجال بالرجال والنساء بالنساء)[13].

٨- آثار البلاد واخبار العباد، زكريا القزويني، ص٢٠٢.
٩- سورة العنكبوت: الآية ٣٥.
١٠- قول الله عز وجل: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرناها بِإِسْحاقَ﴾. قال إن الملائكة لمّا جاءت في هلاك قوم لوط ﷺ قالوا ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ فقالت سارة ومن يطيق قوم لوط يعني كثرة عددهم. (إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، المسعودي، ص٤٦).
١١- ميزان الحكمة، محمد الريشهري: (١٠/ ٣١٤).
١٢- جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: (٢٥/ ٤٤٠).
١٣- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مرتضى الزبيدي (١٤/ ٤٨٤).

الحلقة الثانية

التراب مادة خلق الإنسان في ضوء القرآن الكريم والعلم

بقلم: سياريف هدايت أمر الله، قسم الأحياء، كلية العلوم والتكنولوجيا (اندنوسيا).
المصدر: مجلة الإسلام والعلم، المجلد ٩، العدد ١، كانون الثاني-حزيران عام ٢٠٢٢.

◆ ترجمة (بتصرف): رياض عبد الغني الحسن

أتينا في الحلقة الأولى على ذكر خلق الإنسان من الماء في باب مواد خلق الإنسان وفقاً لما جاء في القرآن الكريم، وقد جاء الدور هنا في هذه الحلقة على ذكر خلق الإنسان من التراب.

خلق الإنسان من التراب

المصطلح القرآني للتراب الذي يدخل مادة خلق الإنسان في القرآن الكريم، نجد مئات الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان، منها عشرون آية تذكر بالذات خلق الإنسان من التراب. ويمكن رؤية تلك الآيات موضحة في الجدول (١)

جدول (١) آيات القرآن الكريم الخاصة بخلق الإنسان من التراب

ت	اسم السورة والآية	ت	اسم السورة	ت	اسم السورة	ت	اسم السورة
١	آل عمران- الآية ٥٩.	6	الحجر- الآية ٣٣.	11	الروم- الآية ٢٠.	16	ص- الآية ٧٦.
٢	الأنعام- الآية ٢.	7	الإسراء- الآية ٦١.	12	السجدة- الآية ٧.	17	غافر-الآية ٦٧.
3	الأعراف- الآية ١٢.	8	الكهف- الآية ٣٧.	13	فاطر- الآية ١١.	18	النجم- الآية ٣٢.
4	الحجر- الآية ٢٦.	9	الحج- الآية ٥.	14	الصافات- الآية ١١.	19	الرحمن- الآية ١٤.
5	الحجر- الآية ٢٨.	10	المؤمنون- الآية ١٢.	15	ص- الآية ٧١.	20	نوح-الآية ١٧
						21	هود- الآية ١٦

يستخدم القرآن الكريم في ذكره التراب في خلق الإنسان ألفاظاً عدة منها:

* (الطين -التراب -من طين لازب -صلصال من حمأ مسنون)

* (صلصال كالفخار -سلالة من طين -الأرض)

اصطلاح (الطين) يعني التراب المبلل -التراب الذي يحتوي على الماء أو الممتزج بالماء. ولفظ (الطين) ورد في القرآن الكريم في ١٢ آية. هنالك ثماني آيات منها تتناول خلق آدم والإنسان بصفة عامة. أما البقية فهي آيتان تتحدثان عن خلق الطيور من الطين (خاصة بمعجزة نبي الله عيسى ﷺ) وآية واحدة تتحدث عن عقاب أنزله الله تعالى على الكافرين من قوم لوط ﷺ كما ورد في سورة الذاريات، الآية/ ٣٣: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ وآية أخرى تتحدث عن فرعون الذي أمر هامان ببناء صرح من الطين الجاف كما جاء في سورة القصص، الآية: ٣٨.

يمكن الاطلاع على لفظ (طين) الذي يخص خلق الإنسان في استخداماته في الآيات المدرجة في الجدول (٢)

جدول (٢) الآيات القرآنية التي استخدمت لفظ (الطين) في ما يخص خلق الإنسان

ت	اسم السورة والآية	نص الآية
١	الأنعام-الآية ٢	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ...﴾
٢	الأعراف-الآية ١٢.	﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾
٣	الإسراء-الآية ٦١.	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ ﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾
٤	المؤمنون-الآية ١٢.	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾
٥	السجدة-الآية ٧.	﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾
٦	الصافات-الآية ١١.	﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا) (إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾
٧	ص-الآية ٧١.	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ﴾
٨	ص-الآية ٧٦.	﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾

أما لفظ (تراب) في القرآن الكريم فقد ورد سبع مرات، ست منها تخص خلق الإنسان وواحدة جاءت في سياق دفع الصدقات. الآيات القرآنية التي استخدمت لفظ (تراب) ووردت في سياق خلق الإنسان يمكن الاطلاع عليها ضمن الجدول (٣).

ت	اسم السورة والآية	نص الآية
١	آل عمران-الآية ٥٩.	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾
٢	الكهف-الآية ٣٧.	﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾
٣	الحج-الآية ٥.	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ...﴾
٤	الروم-الآية ٢٠.	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾
٥	فاطر-الآية ١١.	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا...﴾
٦	غافر-الآية ٦٧.	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾

في حين وردت عبارة (من طين لازب) في سورة الصافات-الآية ١١. وجاءت عبارة (صلصال من حمأٍ مسنون) ثلاث مرات في سورة الحجر الآيات/ ١٥ و٢٦ و٢٨ و٣٣. كما إن لفظ (صلصال كالفخار) ورد مرة واحدة في سورة الرحمن، الآية/٥٥. ١٤. وذكر لفظ (صلصال من طين) مرة واحدة في سورة المؤمنون-الآية ١٢. على أن لفظ (الأرض) فيما يخص خلق الإنسان ورد ثلاث مرات في سورة النجم-الآية ٣٢.، وسورة نوح- الآية ١٧، وسورة هود- الآية ٦١.

٢- تحليل استخدام ألفاظ التراب بصفتها مواد خلق الإنسان:

من بين الألفاظ التي يستخدمها القرآن الكريم مشيراً إلى التراب على أنه مادة خلق الإنسان، هنالك لفظان مشتركان يردان وكأنهما يتحدان بالدلالة وهما (الطين) و(التراب). في حين أن ألفاظاً أخرى مثل: (من طين لازب) و(صلصال كالفخار) و(سلالة من طين) ذكرت مرة واحدة، وألفاظاً مثل: (صلصال من حمأ مسنون) و(الأرض) ذكرت ثلاث مرات فقط. إن استخدام ألفاظ مختلفة تعني التراب بصفته مادة خلق الإنسان يعطي فكرة عن التربة التي تخضع لعملية تغير بمرور الزمن بسبب التغيرات في درجة الحرارة والتغيرات في الضغط، والماء، وسفّ الرياح والاحتكاك بالصخور والعمليات الكيميائية.

وعندما أخبرنا الله تعالى ببدء خلق الإنسان استخدم بشكل لافت كلمة (طين) (لاحظ سورة السجدة-الآية ٧)، لكن عندما أعلمنا بخلق آدم وعيسى، استخدم عزّ وجلّ كلمة (تراب)، وهو ما نلاحظه في (سورة آل عمران-الآية ٩). من هذه المعلومات يمكننا صياغة تسلسل التغير في التربة التي ابتدأت من (الطين) بصفته أقدم أنواع التربة، ليصبح بعد ذلك (تراباً)، وليصبح بعد ذلك (سلالة) وهي الجوهر ليكون بعد ذلك إنساناً. ويمكننا ملاحظة ذلك في الشكل (١)

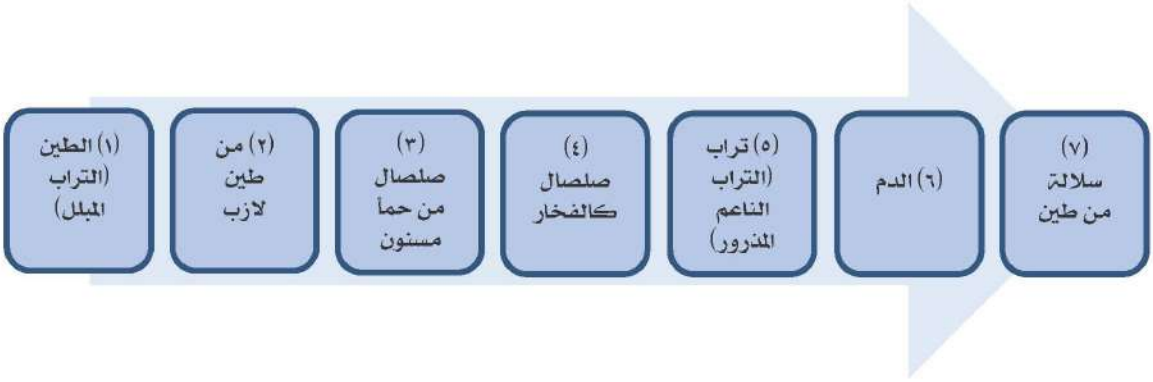

الشكل ١ مراحل تغير التربة بصفتها مادة لخلق الإنسان

التراب هو أفضل أنواع التربة التي تأتي من الطين (الذي طرأ عليه التغيير). استخدام الكلمة (طين) يعني التحدث عن خلق الإنسان كله الذي كان باستخدام المادة الرئيسة وهي الطين. أما فكرة التراب الذي انحدر من الطين المتغير؛ فمن (الطين) إلى (من طين لازب) إلى (صلصال من حمأ مسنون) مثل (صلصال كالفخار)، ثم إلى (تراب). ومن هذا التراب بالذات خلق الله آدم. إلى جانب ذلك، باستخدام اللفظ (طين)، يخبر الله تعالى فقط عن خلق الإنسان دون بيان العملية ومراحل حصول ذلك.

لقد كان خلق النبي آدم بصفته الإنسان الأول مختلفاً عن خلق الذرية من بني الإنسان الذين جاءوا من بعده. في القرآن الكريم في الآية ٥٩ من سورة آل عمران، جاء ذكر خلق آدم من (تراب) دون الخوض في التفاصيل البايولوجية، بل استفدنا معلومة أن الله تعالى قال (كن فيكون). أما الناس عموماً فلم يخلقوا مباشرة من (التراب) بل كما جاء في سورة المؤمنون-الآيات/١٢-١٤ بأن ذلك كان من جوهر التراب (سلالة من طين) ثم كان عليهم أن يمرّوا أولاً من خلال عمليات بايولوجية. صورتان وردتا في القرآن الكريم في سورة المؤمنون-الآيات ١٢-١٤، وسورة الحج-الآية ٥، تصفان مراحل خلق الإنسان.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ..) فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون-الآيات ١٢-١٤.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ الحج- الآية/٥

٣- تحليل استخدام لفظي (الطين) و(التراب) عند ذكر الألفاظ الدالة على الإنسان

عند تحليل استخدام لفظي (الطين) و(التراب) عند ذكر الإنسان سنجد أن القرآن الكريم يستخدم مصطلحي (إنسان) و(بشر) أو ضميرهما. وعلى نحو التفصيل، يرد لفظ (البشر) مرة واحدة مصاحباً للفظ (الطين)، أما لفظ (إنسان) فيرتبط بلفظ (الطين) مرتين، كما لا نجد لفظ (التراب) يرد مرتبطاً بلفظ (البشر) أو (الإنسان) أو ضميرهما؛ وقد وجدنا أن الفعل (خلق) ومشتقاته وردت مصاحبة للفظ (طين) و(تراب) ست مرات لكل منهما. بينما لم نجد لفظ (بني آدم) الذي يشير إلى أولاد آدم وذريته من بعدهم مصاحباً للفظ (الطين) ولا لفظ (التراب).

ج- خلق الناس بعد نبي الله آدم عليه السلام

١- خلق الناس في المنظور العام للقرآن الكريم

وتأسيساً على هذين الموردين يمكن صياغة مراحل الخلق للناس من بعد آدم كما هو موضح في الشكل (٢):

-٣. طين	←	تربة مبللة ممزوجة بالماء- التربة في اقدم مراحلها
-٢. تراب	←	أفضل أنواع التربة
١. سلالة من طين	←	جوهر التربة (مادة خلق الإنسان بشكل عام)
٢. نطفة	←	المني – ابتداء من اجتماع الزوج والزوجة، ثم الماء الدافق، ثم المني المختلط (اتحاد الحيمن بالبيضة) (العملية البايولوجية)
٣. علقة	←	علق الدم (عملية التخصيب – الحمل)
٤. مضغة	←	قطعة من اللحم
٥. عظاماً – لحماً	←	عظام – لحم
٦. طفلاً	←	طفل
٧. تبلغوا أشدكم	←	النضج
٨. الهرم/ الموت		

الشكل (٢) مراحل خلق الإنسان بصورة عامة وفقاً للآيات ١٢-١٤ من سورة المؤمنون، والآية ٥ من سورة الحج

حقيقة خلق الإنسان من التراب (من منظور العلم)

يقول القرآن الكريم أن الإنسان قد خلق من التراب (الطين والتراب). وهذا يثير سؤالاً: هل خلقت ذرية آدم من التراب وكيف جرت هذه العملية؟ يمكن القول أنه على الرغم من أن الإنسان الذي انحدر من آدم لا بدّ له أن يخوض في مراحل خلقه عمليات بايولوجية أولا، من حيث الجوهر، لكنه يبقى مخلوقاً من مواد من التربة. على أن ذلك يجري ضمن عملية مختلفة، فتكون عملية الخلق باستخدام جوهر التربة كما ذكرت الآية ١٢ من سورة المؤمنون من أنه خلق من (سلالة من طين). فالإنسان يتناول طائفة متنوعة من الأطعمة التي يكون منشؤها التراب مثل الرز والخضروات أو الفاكهة. ثم يتحول الطعام في نهاية المطاف إلى دم تُصبّ فيه هرمونات تزيد من الرغبة الجنسية. وبفضل الدم ينشأ المنيّ، وتنشأ الخلايا الذكرية والأنثوية.

وهذا هو ما يفسّر علمياً وجود العناصر الكيمياوية الموجودة في التربة نفسها في جسم الإنسان. ويعني هذا أن التراب يحتوي على العناصر الضرورية التي تقوم الحياة بها. إن التربة تحتوي على ذرات وعناصر معدنية تعمل كمحفزات في عمليات التفاعل الكيمياوية والبايوكيمياوية لتشكيل جزيئات عضوية أكثر تعقيداً. تحوي هذه العناصر على الحديد (Fe) والنحاس (Cu) والكوبالت (Co) والمنغنيز (Mn) ..الخ. إضافة إلى عناصر الكاربون (C) والهيدروجين (H) والنتروجين (N) والأوكسجين (O) يمكن أن تؤدي العناصر المعدنية وشبه المعدنية أعلاه دور المحفزات في عمليات التفاعل البايوكيمياوية التي تكوّن جزيئات أكثر تعقيداً مثل اليوريا والأحماض الأمينية والنوكليوتيدات. ومن هذه العناصر يتشكل دماغ الإنسان وهو العضو الحيوي المسؤول عن تلقي المعلومات وخزنها واستعادتها والذي يجعل الإنسان في رتبة أعلى من رتب بقية المخلوقات. يقول البروفيسور كارل ساغان من جامعة برينستون في كتابه (تنين الجنّة) أن البشر متفوقون حقا على بقية المخلوقات. وأحد أشكال هذا التفوق هو امتلاكهم لأنظمة خزن المعلومات أو الذاكرة. ولهذا كان آدم الذي خلقه الله من الطين قادراً على معرفة أسماء الأشياء التي علمها الله إياه وفهمها في حين أن الملائكة الذين خلقهم الله من النور لم يتمكنوا من ذكر كل شيء باسمه كما فعل النبي آدم. أنظر سورة البقرة-الآية/ ٣١.

الخاتمة

في القرآن الكريم، تطرقت آيات كثيرة إلى مسألة خلق الإنسان وإلى المادة التي خلق منها، مثل خلق الإنسان من ماء ومن ماء مهين ومن نطفة أمشاج ومن علقة ومن تراب الأرض. وقد عرفنا من هذه المعلومات أن التربة كانت المادة الأولية في خلق الإنسان، أي بشكل التراب المبلل الذي هو (الطين) ثم يخضع لعملية التغير ليكون تراباً جافا، ثم يصبح سلالة من طين (جوهر التراب). ومن جوهر التراب هذا الذي يأخذه الإنسان عن طريق الطعام والشراب التي يتناوله والذي يكون مصدره الأرض. وعلى الرغم من أن جميع البشر مخلوقون من التراب، إلا إن هناك فرقاً بين عملية خلق الإنسان الأول (آدم) وبقية البشر عموماً. فقد خلق آدم من الأرض دون المرور في عمليات بايولوجية، في حين ترتب على بني الإنسان عموماً أن يخوضوا عمليات بايولوجية، أي امتزاج الحيمن الذكري بالبيضة الأنثوية.

المصدر:

https://www.researchgate.net/publication/362163342

القارئ حسين العسكري

طاقة شبابية مباركة

طاقة شبابية كرسها القارئ السيد حسين غالب العسكري في خدمة الثقل الأكبر وهو كتاب الله العزيز، وهي أفضل خدمة ممكن أن يقوم بها المؤمن، حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو يكون في تعلمه.

وكذلك هي خدمة الثقل الأصغر وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهو الذي جمع بين هاتين الخدمتين المباركتين كتاب الله والعترة. فكان لأسرة مجلة (ق والقرآن المجيد) فرصة اللقاء به، وتسليط الضوء على مسيرته المباركة فحدثنا مشكوراً:

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

كانت بدايتي والحمد لله من الدراسة الابتدائية، كنت في وقتها أستمع للقارئ عامر الكاظمي فتأثرت بطريقته، وعندما كانت المعلمة في المدرسة تسمعني وتجعلني أقرأ في الصف، وقرائتي كانت بالطريقة العراقية. من بعدها استمعت للقراء المصريين وصار التأثر أكبر مما كان عليه، فتأثرت بالقارئ السيد متولي عبد العال، والقارئ محمد الليثي، والقارئ يوسف البهتيمي، ومصطفى إسماعيل.

حاولت أن أستلهم من كل قارئ جنبة معينة، فعندما أقرأ في البداية تسمع مني طريقة الليثي، وعندما أنتقل للطبقة الوسطى تسمع البهتيمي، وعندما أنتقل إلى طبقة الجواب تسمع متولي عبد العال. يعني من كل قارئ آخذ طبقة في القراءة وأوظفها لصوتي.

أما بالنسبة للمدرسة الصوتية العراقية الكبيرة وأخص بالذكر القارئ الحافظ خليل اسماعيل رحمه الله عندما بدأت القراءة لم يكن الإعلام في وقتها يسلط الضوء على قراءاته بشكل كبير، وإنما نسمع بعض التلاوات وهي جميلة جداً، ولكن الآن خرجت التلاوات الكاملة له، ولقد بيّن الأساتذة قراءاته العظيمة، أمثال الأستاذ حيدر الكاظمي والأستاذ فراس الطائي رحمه الله.

بالنسبة للتحصيل الدراسي أنا خريج الدراسة المتوسطة، درست أحكام التلاوة على يد الأستاذ عال الشريفي في دار القرآن الكريم في منطقة حي العامل، وإن شاء الله مستمر في الدورة للحصول على إجازة القراءة برواية حفص عن عاصم لضبط قراءة القرآن كاملاً.

بالنسبة للأنغام في بدايتي كنت أعتمد على الاستماع، أستمع وأقلد إلى أن دخلتُ دورة عند الأستاذ ميثم الركابي، كانت في وقتها دورة تطويرية، وكذلك الأستاذ رعد الفرطوسي.

درست المقامات الرئيسة وفروعها بالطريقة المصرية، أما الطريقة العراقية اعتمدت على الاستماع، وطريقتي في القراءة هي الطريقة المصرية، وأن الطريقة العراقية هي طريقة عريقة ومؤثرة، ولكنني أميل إلى الطريقة المصرية؛ لأنها قريبة إلى إحساسي من حيث القراءة.

الحمد لله قرأت في العتبة الحسينية والعباسية والعلوية والعسكرية، وعندي مشاركة في صحن الإمام الرضا عليه السلام، هذا على نطاق العتبات، أما على النطاق المتنوع فقد كانت عندي مشاركات في مناطق الجهاد في زمن الفتوى المباركة للسيد السيستاني دام ظله وفي آمرلي، وكركوك في معسكر الشهداء بقيت ٢٥ يوماً، حيث كانت هنالك جلسات قرآنية وتعليم وتدريس، وأيضاً في محافظة الأنبار ومدينة القائم، وكانت لي مشاركات عدة في قطعات الحشد الشعبي.

توجد لي مسابقات خارجية في مدينة مشهد المقدسة، أما المسابقات الداخلية فهي مسابقات في المدارس، وعلى مستوى جانب الكرخ من بغداد فقد نلت المرتبة الأولى على مدى عامين، وشاركت في مسابقات محلية ووطنية كثيرة، منها المسابقة الرمضانية في العتبة العلوية، وقد حصلت فيها على المركز الثالث، وفي محافظة كربلاء المقدسة في مسابقة قرّاء كربلاء حصلت بها على المركز الثاني، ومسابقة القارئ المعبر حصلت بها على المركز الثاني، ومسابقة الغدير التي أقيمت في منطقة البياع حصلت على المركز الأول ومشاركات كثيرة.

أولى نشاطاتي قد تمثلت في جلسات كانت تعقد في بيوت بعض الأخوة المؤمنين، وجلسات قرآنية في مؤسسة الإمام الرضا عليه السلام في منطقة الشعلة.

وأول تلاوة مباركة كانت لي في العتبة الكاظمية المقدسة قبل تشرفي بالخدمة فيها، واعتقد كان عمري عندها ١٤ عاماً.

حينها تشرفت بخدمة الإمامين الجوادين عليهما السلام في الشهر السابع ٢٠٢١، وقرأتُ في المأذنة. ومن الجدير بالذكر أن القارئ الحاج همام، والقارئ السيد عمار الموسوي، والقارئ الكبير السيد عبد الكريم قاسم، كل هؤلاء احتضنوني وكان لهم تأثير كبير عليَّ.

ومعظم مشاركتنا حالياً في أماكن خارج العتبة، وبين فترة وأخرى نرسل إلى العتبات للقراءة أو للمشاركة في مسابقة معينة أو افتتاح المهرجانات. لكل مسابقة جوائزها وتكريمها، وأكثر مسابقة أعتز بها كانت تلاوة وحفظ في نفس الترتيب، وهي مسابقة القارئ المُعبِّر فزت بها والحمد لله والشكر. نسأل الله أن يتقبل منّا خالص هذه الخدمة المباركة.

مسجد نُقِّط فيه القرآن الكريم

◆ حيدر صباح

عندما يدخل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى مكان، فإن ذلك المكان سيتنفس عبق الوَلاية التي يتاخم عطرها عنان السماء، وينبض روحاً وريحاناً على مرِّ الزمان؛ لأن خطى أمير المؤمنين عليه السلام لها وقعها في الأماكن، فضلاً عن وقعها في القلوب، ومن تلك الأماكن التي حظيت بخطى ومجيء أمير المؤمنين عليه السلام مسجد في البصرة سُمّي بمسجد (خطوة الإمام علي)، وقد توجه وفد قسم الشؤون الفكرية والثقافية مع شعبة الإعلام إلى محافظة البصرة الفيحاء، لتسليط الضوء على هذا المسجد التاريخي المبارك. فاستقبلنا مدير المسجد الحاج (إبراهيم البغدادي) بأفضل استقبال وحدثنا مشكوراً:

الحاج إبراهيم البغدادي- مدير المسجد

يعتبر مسجد خطوة الإمام علي عليه السلام ثاني مسجد في الإسلام بعد المسجد النبوي الشريف، بُني سنة ١٤هـ دخل أمير المؤمنين عليه السلام البصرة سنة ٣٦هـ فمكث عليه السلام فيها ١٠٠ يوماً وقيل ٧٠ يوماً.

ومن الوقائع المهمة التي حدثت في المسجد هي قيام أمير المؤمنين عليه السلام بتنقيط القرآن الكريم، وتعليم كميل بن زياد الدعاء المعروف بدعاء كميل، كما قام الإمام عليه السلام بتعليم النحو لأبي الأسود الدؤلي، وصحح اتجاه القبلة. وفي هذا المكان قال أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني» وذكر في خطبته أهل البصرة قائلاً «عُبّادكم خير عُبّاد» ومن ضمن الأحداث التاريخية أيضاً دخل هذا المسجد الحجاج بن يوسف الثقفي وقال: مقولته الشهيرة « إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان وقت قطافها» وكذلك دخل هذا المسجد رابعة العدوية، والمعتزلة، والأشاعرة، وقد ذكر المسجد الرحالة ابن بطوطة في رحلته.

يعود هذا المسجد الآن إلى الوقف الشيعي، والمسجد يقصده الزائرون من كل مكان وخاصة في المناسبات الدينية، وفي شهر رمضان، وليالي القدر وتقام فيه المجالس، ويتم الاعتكاف.

يأتي الزائرون الكرام إلى المسجد المبارك أيام الخميس والجمعة والسبت، وكذلك طيلة أيام السنة. ويشهد هذا المكان الكثير من عقود القِران للأخوة المؤمنين؛ تبرُّكاً بالمسجد، حدثت فيه الكثير من الكرامات ببركة أمير المؤمنين عليه السلام.

من الجدير بالذكر أن مساحة المسجد ٥٠ دونم. وفريق العمل فيه عددهم ١٠ أشخاص فقط. تقام في هذا المكان المطهر بعض الأنشطة، مثل الندوات والمؤتمرات التي تخص اللغة العربية والقرآن، وندوات خاصة للمرأة والطفل، وتُوزّع بعض الهدايا للأرامل والأيتام، وندوات تثقيفية حول خطورة المخدِّرات وغيرها.

وقد تحدث إلينا إمام المسجد وخطيبه السيد (ميثم البعاج) وأفاض علينا بوابل من المعلومات قائلاً:

هذا المسجد من الأماكن المهمة في محافظة البصرة، قضاء الزبير، وله أثر كبير، وبُعد تأريخي عظيم، وقد بناه عتبة بن غزوان، فكان معسكراً لجيش المسلمين، وكان بناؤه بسيطاً حيث مرَّ بمراحل عدة، وعندما دخل أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المكان وبقي في البصرة تزوج من ليلى النهشلية وصار عنده منها أولاد.

يقصد هذا المكان الزائرون من البصرة ومن خارجها، ومن الدول المجاورة مثل إيران والكويت، والبعض يأتي عن طريق السياحة من دول أوربية وأمريكية؛ لأن هذا المكان أثري، وكان مركز البصرة القديمة.

للحوزة العلمية وجود مبارك في هذا المسجد، واهتمام خاص من المرجعية العليا في النجف الأشرف؛ من خلال التوجيهات التي تصل إلينا حول الاهتمام بهذا المكان. وبفضل الله سبحانه وتعالى تقام فيه صلاة الجماعة للرجال وللنساء، حتى وصل عدد المصلين قرابة العشرين ألفاً، وتقام المجالس القرآنية في ليالي القدر؛ من خلال الدور القرآنية، مع تقديم وجبات الإفطار والسحور للزائرين والمعتكفين، وإقامة المجالس الحسينية، وجميع مناسبات أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك شرح بعض المسائل الفقهية والمحاضرات الأخلاقية. ونقوم بنصب المواكب لاستقبال الزائرين وتقديم الخدمة من الطعام والشراب. وقد استحدثنا نقاطاً استفتائية يديرها رجال الحوزة العلمية، يجيبون فيها على أسئلة الزائرين الفقهية والعقائدية والاجتماعية. أما في شهر محرم نقيم شعيرة (ركضة عاشوراء) والتي تبدأ من المربد من مسجد الإمام الرضا عليه السلام ويكون مستقرها في هذا المسجد. والزائرون في المسجد كما ترون ما بين راكع وساجد ومتبرك وقاصد لقضاء الحوائج وشفاء المرضى ببركة أمير المؤمنين عليه السلام ومقامه عند الله تعالى.

نشكركم ونشكر خدمة الإمامين الجوادين عليهما السلام لتجشمكم عناء السفر في خطوتكم نحو مسجد خطوة الإمام علي عليه السلام.

إضاءات فيها ومنها

سورة قريش

◆ الشيخ: قاسم الخفاجي

تسمية السورة

وردت عند المفسرين باسمين الأول سورة (قريش) لورود هذا اللفظ في السورة، والثاني (لإيلاف) أو (لإيلاف قريش) لورود اللفظ في السورة ولما ورد عن النبيﷺ في فضلها، ذكر الثعلبي في تفسيره عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ (من قرأ سورة (لِإِيلَافِ قُرَيْش) أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها)، وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ومن أكثر قراءة (لإيلاف قريش) بعثه الله يوم القيامة على مركب من مراكب الجنة، حتى يقعد على موائد النور يوم القيامة. ولم يشذ أحد من المفسرين عن هذين الاسمين.

مكان نزولها وعدد آياتها وكلماتها وحروفها

أغلب الرواة والمفسرين قالوا إنها مكية ونقل عن الضحاك وابن السائب أنها مدنية. وعدد آياتها أربع، وهي سبع عشرة كلمة، وهي ثلاثة وسبعون حرفاً.

ترتيب نزولها

وكان نزولها بعد سورة (التين) وقبل سورة (القارعة)، فهي السورة التاسعة والعشرون في ترتيب النزول.

شرح كلمات السورة

الإيلاف ذُكر لها معنيان، الأول، إيلاف؛ مصدر آلف، أي جعله يألف ومعناه جمعه اجتماعاً مقروناً بالانسجام والأنس.

الثاني من المؤالفة وهي العهد والميثاق. والمعنى الأول أظهر وموافق لمحتوى السورة.

قريش؛ يطلق هذا اللفظ على نوع من الأحياء البحرية وهي تأكل كل ما يصادفها، وورد عن ابن عباس هذا المعنى فقد قال: لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه، يقال لها القريش، لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته.

لهذا السبب جاء هذا الاسم لهذه القبيلة لاقتدار هذه القبيلة وقوتها، وإلى استغلال هذه القوة في الانقضاض على الآخرين.

وقيل إن قريش من القرش، وهو الاكتساب، لأن قريشاً كانت مشغولة دوما بالتجارة والكسب.

وقيل: إن معنى (القرش) التفتيش والمراجعة، وسميت قريش بذلك لتفقدها أحوال الحجاج والمسارعة لمساعدتهم.

وروي عن ابن عبّاس: إنّ النضر كان في سفينة فطلعت عليهم دابّة من دواب البحر يقال لها قريش، فخافها أهل السفينة فرماها بسهم فقتلها.

هل هي سورة مستقلة أم جزء سورة

قال السيد الطباطبائي: تتضمن السورة امتناناً على قريش بإيلافهم الرحلتين وتعقبه بدعوتهم إلى التوحيد وعبادة رب البيت، والسورة مكية.

ولمضمون السورة نوع تعلق بمضمون سورة الفيل، ولذا ذهب قوم من أهل السنة إلى كون الفيل ولإيلاف سورة واحدة، كما قيل بمثله في الضحى وألم نشرح لما بينهما من الارتباط كما نسب ذلك إلى المشهور بين الشيعة، والحق أن شيئاً مما استندوا إليه لا يفيد ذلك.

أقول: قال الشيخ الصدوق: وعندنا أنّ (الضحى) و (ألم نشرح) سورة واحدة، و (لإيلاف) و(ألم تر كيف) سورة واحدة. عن الإمام الصادق عليه السلام: (ألم تر) و (لإيلاف) سورة واحدة.

أما القائلون بذلك من أهل السنة، فإنهم استندوا فيه إلى ما روي أن أبي بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه بالبسملة، وبما روي عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: صليت المغرب خلف عمر بن الخطاب فقرأ في الركعة الأولى (والتين) وفي الثانية (ألم تر) و(لإيلاف قريش) من غير أن يفصل بالبسملة.

أقول: قال الطبراني: وكان بعضهم يعدّ السّورتين سورة واحدة، وقال سفيان بن عيينة: كان لنا إمام لا يفصل بينهما ويقرأهما معاً. وقال عمرو بن ميمون: (صلّيت خلف عمر ابن الخطّاب صلاة المغرب، فقرأ في الرّكعة الأولى (وَالتِّينِ)، وفي الثّانية (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ) و(لِإِيلافِ قُرَيْشٍ).

وأجيب عن الرواية الأولى بمعارضتها بما روي أنه أثبت البسملة بينهما في مصحفه، وعن الثانية بأن من المحتمل على تقدير صحتها أن يكون الراوي لم يسمع قراءتها أو يكون قرأها سراً، على أنها معارض بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله فضل قريشاً بسبع خصال وفيها "ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم: لإيلاف قريش".

الحديث على أن الفصل متواتر

وأما القائلون بذلك من الشيعة فاستندوا فيه إلى ما في المجمع عن أبي العباس عن أحدهما عليه السلام قال: (ألم تر كيف فعل ربك) و(لإيلاف قريش) سورة واحدة، وما في التهذيب بإسناده عن العلاء عن زيد الشحام قال: صلى بنا أبو عبد الله عليه السلام الفجر فقرأ (الضحى) و(ألم نشرح) في ركعة، وما في المجمع عن العياشي عن المفضل بن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: لا تجمع بين سورتين في ركعة واحدة إلا (الضحى) و(ألم نشرح)، و(ألم تر كيف) و(لإيلاف قريش..).

أما رواية أبي العباس فضعيفة لما فيها من الرفع، وأما رواية الشحام فقد رويت عنه بطريقين آخرين: أحدهما ما في التهذيب بإسناده عن ابن مسكان عن زيد الشحام قال: صلى بنا أبو عبد الله عليه السلام فقرأ بنا بالضحى وألم نشرح، وثانيهما عنه عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا عن زيد الشحام قال: صلى بنا أبو عبد الله عليه السلام فقرأ في الأولى الضحى وفي الثانية ألم نشرح لك صدرك.

وهذه أعني صحيحة ابن أبي عمير صريحة في قراءة السورتين في ركعتين ولا يبقى معها لرواية العلاء ظهور في الجمع بينهما، وأما رواية ابن مسكان فلا ظهور لها في الجمع ولا صراحة، وأما حمل ابن أبي عمير على النافلة فيدفعه قوله فيها: (صلى بنا) فإنه صريح في الجماعة ولا جماعة في نفل.

وأما رواية المفضل فهي أدل على كونهما سورتين منها على كونهما سورة واحدة حيث قيل: لا تجمع بين سورتين ثم استثني من السورتين الضحى وألم نشرح وكذا الفيل ولإيلاف.

فالحق أن الروايات إن دلت فإنما تدل على جواز القران بين سورتي الضحى وألم نشرح وسورتي (الفيل) و(لإيلاف) في ركعة واحدة من الفرائض وهو ممنوع في غيرها، ويؤيده رواية الراوندي في الخرائج عن داود الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال فلما طلع الفجر قام فأذن وأقام وأقامني عن يمينه وقرأ في أول ركعة الحمد والضحى وفي الثانية بالحمد وقل هو الله أحد ثم قنت ثم سلم ثم جلس.

من أهداف السورة

تذكير أهل مكة بجانب من نعم اللَّه تعالى عليهم لعلهم عن طريق هذا التذكير يفيئون إلى رشدهم، ويخلصون العبادة لخالقهم ومانحهم تلك النعم العظيمة، وليس الحصر هنا لقريش بل لكل إنسان، فعلينا أن نوجه وجوهنا إليه فهو المستحق فقط.

ماذا قالت النملة؟

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١)

بينت الآية الكريمة كلام النملة بقومها وقد سمع نبي الله سليمان ﷺ كلامها وكان فيه العديد من أمور ومنها:

١. أحست، بوجود جيش كبير يمر بواد النمل. (أتوا واد النمل)
٢. بادرت بإخبار قومها. (قالت)
٣. نادت قومها. (يا أيها النمل)
٤. نبهت عن خطورة التحطيم
٥. أمرت بدخول المسكن. (ادخلوا)
٦. نهت عن المحذور
٧. أكدت (بنون التوكيد)
٨. نصحت قومها
٩. بالغت في الأمر لخطورة الحدث
١٠. بينت نوع الخطر
١١. أنذرت (سياق الآية)
١٢. أعذرت نبي الله سليمان ﷺ
١٣. نفت تعمد القيام بالفعل (التحطيم)

كما اعتقد مستدلاً بالألفاظ أن خطاب النملة كأنه موجه إلى العاقل فقالت:

(ادخلوا) وفيه دلالة لمخاطبة العقلاء، وكذلك دلالة الضمير في كم (مساكنكم) وهذا أيضاً للعاقل. ثم إن هناك من الدلالة ما يبين أن النمل له مسكن منفرد يستقر فيه لا مسكناً جماعياً كما يتصور.

وهناك نكتة أخرى هي أن النمل يعرف نبي الله سليمان ﷺ ويعرف حكومته. كما أن في إضافة لفظة الجنود إلى الضمير (الهاء) الذي يعود على نبي الله سليمان ﷺ يفهم منها أن جنوده من الإنس والجن والطير، فلو كانت خالية من الإضافة لقال (الجند) وهذا يدل على الجنود من البشر فقط.

وهناك نكتة أخرى هي أن أغلب تكوين النمل هو من مادة السليكون كما أثبت علمياً وهي مادة تدخل في صناعة الزجاج، فجاءت لفظة التحطيم (مناسبة للسليكون الذي لا ينكسر ولا ينثني بل يحطم ﴿يَحْطِمَنَّكُمْ﴾. والله أعلم بواقع الأمور.

١- سورة النمل: الآية ١٨.

من إعجاز القرآن

◆ ضرغام محمد علي

إن للقرآن بشارات عظيمة أهداها سبحانه لعباده ليتفكروا، فهي كالدرر الكامنة في قلب البحور أو كثمار طيبة، وما علينا إلا أن نستخرج تلك الدرر ونتذوق تلك الثمار، بشارات ينبغي علينا أن نفهمها ونفهم معانيها جيداً؛ فهي تجلي غمائم الهموم، وتبعث فينا نور الطمأنينة؛ من خلال كلام الله سبحانه الذي ينبغي أن نقرأه ونتفكر فيه فإنه خير جليس وخير أنيس، وعلينا أن نكون من محبي قراءة القرآن؛ حتى نتأسى بالنبي وأهل بيته عليهم السلام.

بشارة عسى

ورد أن الامام زين العابدين عليه السلام أنه كان شغوفاً بتلاوة القرآن وهو يقول عليه السلام: « لو مات ما بين المشرق والمغرب ما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي»[1]، فمثل ما يكون في القرآن من تحذير ووعيد، فإن فيه رحمات وبشارات، وهذه البشارات لا تظهر إلا لمن يقرأ القرآن ويتفكّر في معانيه، ومن تلك البشارات كلمة (عسى) فهي في اللغة العربية تُفيد الرجاء في بعض المواضع. «عَسَى فِعْلٌ مُطْلَقاً، أَوْ حَرْفٌ مُطْلَقاً، لِلتَّرَجِّي»[2] وأن القرآن نزل بلغة العرب ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]، ولو نظرنا إلى قصة يعقوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾[4]، لوجدنا أن الله آتاه أبناءه جميعاً بالفعل.

١- بحار الانوار، المجلسي (٨٩/٢٣٩).
٢- القاموس المحيط (٣/ ٤٥٠).
٣- سورة يوسف، آية ٢.
٤- سورة يوسف، آية ٨٣.

النبي موسى عليه السلام هو ايضاً قالها لبني إسرائيل ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾[5]، وقد تحقق له ذلك إذ أهلك الله فرعون واستخلفهم في الأرض. ولو جئنا إلى الآية التي فيها البشارة الكبرى ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[6]، فقد ذكرت الآية الخلط بين العمل الصالح والذنوب ومن منا لم يفعل ذلك، ولكن النتيجة والبشرى تأتي في نهاية الآية والله غفور رحيم، فهذان اسمان وصفتان من أسماء الله وصفاته تبارك وتعالى وقد كتبها على نفسه، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[7]، وهذه من نعم الله على عباده.

القرآن الكريم آيات وقوانين دقيقة

الكون محفوظ في سُنن تجعله محكم لا يقبل الخطأ، فكل مجرة لها قوانينها فهي تسير بنظام دقيق. ويقول الشيخ جعفر السبحاني بصدد هاتين الآيتين: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[8]، هذا القسم هو القسم الوحيد الذي وصفه سبحانه بأنّه عظيم، فالحديث هنا هو حديث على الأبعاد، أبعاد النجوم عنّا، وعن بعضها البعض، في مجرّتنا، وفي كل المجرّات، ولأنّها كلّها تتحرك، فإنّ الحديث عن مواقعها يصير أيضاً حديثاً على مداراتها، وحركاتها الأخرى العديدة، وسرعاتها، وعلى علاقاتها بالنجوم الأُخرى، وعلى القوى العظيمة والحسابات المعقدة، التي وضعت كلّ نجم في موقعه الخاص به وحفظته، في علاقات متوازنة، دقيقة، محكمة، فهي لا يعتريها الاضطراب، ولا تتغير سننها وقوانينها[9].

٥- سورة الأعراف، آية ١٢٩.
٦- سورة التوبة، آية ١٠٢.
٧- سورة الأنعام، آية ١٢.
٨- سورة الواقعة، الآيتان ٧٥-٧٦.

القرآن فوق كلام المخلوق

فما أجمل وأدق ما جاء في القرآن وقد تحدى الله سبحانه وتعالى جميع خلقه على أن يأتوا بمثل ما ذكر الله في كتابه العزيز حين قال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[10]، فلن يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن أبداً، ولقد تحداهم أكثر في طلب الله سبحانه أن يأتوا ولو بسورة واحدة كقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[11]، وهذا دليل على عجز خلقه على أن يأتوا بسورة مُحكمة مثل السور في القرآن الكريم، وهذا إعجاز على أن الكلام هو كلام الخالق وليس كلام المخلوق، وهو تأييد لنبيه صلى الله عليه وآله الذي جاء به إلى قومه العرب، في وقتٍ كانت فيه اللغة العربية في أوج عِظمها. فهذا هو كلام الله الذي فيه كل شيء من إعجاز وبيان وهدى وبشرى ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[12].

٩- الاقسام في القران، الشيخ جعفر السبحاني (١/ ٨٢).
١٠- سورة الاسراء، آية ٨٨.
١١- سورة البقرة، آية ٢٣.
١٢- سورة النحل، آية ٨٩.

دارك الحقيقي

قال تعالى:

(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ..)[1].

ذكر بعض المفسرين أنّ هذه الآية هي آخر ما نزل من القران الكريم على رسول الله ﷺ، فقال جبريل عليه السلام: يا محمد ضعها على رأس ثمانين آية ومائتي آية من البقرة[2]. وكان رسول الله ﷺ يعرض على جبريل كلّ سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه، وفي السنة التي توفّي فيها مرتين. وكان آخر الآيات نزولاً: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّه﴾، فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدّين[3]. وقال بعضهم إنها نزلت في منى في حجة الوداع[4].

الآية الكريمة فيها خطاب لأهل الدنيا وتذكيرهم بالالتفات على الدوام للأعمال الدنيوية التي ترتبط بالأخرة، حيث الرجوع إلى الله عزّ وجلّ رجوع معاد واستسلام يوم القيامة أو يوم الموت. ومما يلزمنا هذا التذكير عدم الغفلة عن الدار الحقيقي الراحلين إليه ولو بعد حين، بل أن نضع الآخرة والموت نصب أعيننا. فلا بدّ أن نُحمل يوماً إلى القبور ونقدم على ملك جبار. ولو تأملنا قليلاً عند زيارة القبور لحضرت لدينا الصورة النهاية المحتومة لجميع الناس؛ فمثلاً عند زيارة مقبرة النجف الأشرف ترى آلاف القبور تضم أناساً كانوا مثلنا في هذه الحياة؛ فمنهم الرئيس والمرؤوس، العتال والبقال، الفلاح والعامل، العالم والجاهل، الطالب والكاسب، الغني والفقير، و... انتهى دورهم في هذه الدنيا وانتقلوا إلى منازلهم الحقيقية دون تمييز أحد عن آخر، كلهم تحت التراب. وهذا ما سنصير إليه جميعاً شئنا أم أبينا. ولذا يخاطبنا الله تعالى في جملة من الآيات ويذكرنا بالاستعداد والتأهب للمصير المحتوم لذلك اليوم ما بعده، فإنه عزّ وجلّ سوف يحاسبنا على ما قدمنا في هذه الحياة من أعمال؛ فمن عمل خيراً يجد خيراً، ومن عمل شراً يجد شرّاً. ولا ينتفع العبد إلا بالعمل الصالح الذي ينجيه ويسعده، فعمّر دارك التي أنت صائر إليها ولا تخربها. ولله در القائل:

ستباشر الترباء خدّك ... وسيضحك الباكون بعدك

لو قد رحلت عن القصو ... ر وطيبها وسكنت لحدك

لم تنتفع الا بفعـ ... ـل صالح قد كان عندك

١- سورة البقرة: ٢٨١.

٢- انظر تفسير الرازي، فخر الدين الرازي (٧/ ١١١).

٣- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (١/ ٢٢٢).

٤- انظر مجمع البيان، ، الشيخ الطبرسي (١/ ٧٤).

البصر و البصيرة

البصر

حاسة الرؤية. وقيل حس العين، والجمع أبصار. جاءت هذه اللفظة في الكتاب العزيز مرات عديدة وأعطت معاني ودلالات بيانية متنوعة، نذكر منها الآتي:

البصر للنظر والحجة، قال تعالى:

﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾[1].

البصر للأدب ، قال تعالى:

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[2].

البصر للتعجيل والسرعة، قال تعالى:

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[3].

البصر للحيرة والحسرة، قال تعالى:

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾[4]

البصر للعمى، قال تعالى:

﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾[5].

البصر للسؤال عن المعصية والطاعة قال تعالى:

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[6].

البصر في عدم الفائدة والمنفعة، قال تعالى:

﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ﴾[7].

البصر للغي والغفلة، قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾[8].

البصر للغطاء واللعنة، قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[9].

البصر للنظر والعبرة قال تعالى:

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[10].

البصيرة

فهي عقيدة القلب، وقيل اسم لما اعتقد في القلب من الدين. وقيل الفطنة، ولها أيضا دلالات بيانية متعددة منها:

البصيرة: قوة القلب المدركة قال تعالى:

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[11].

البصيرة: اليقين والبرهان:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[12].

وأحياناً يعبر بالبصيرة مجازاً فيضاف إليها صفات وأسماء، كقولهم (الضعف والقوة، والنور والظلمة، وصاحب البصيرة وفاقدها، ومكشوف البصيرة، وعين البصيرة، وأعمى البصيرة)، إلى غير ذلك.

١- سورة الملك: الآية:٣.
٢- سورة النجم: الآية: ١٧.
٣- سورة القمر: الآية: ٥٠.
٤- سورة القيامة: الآيتان: ٧-١٠.
٥- سورة الجاثية: الآية: ٢٣.
٦- سورة الاسراء: الآية: ٣٦.
٧- سورة الاحقاف: الآية: ٢٦.
٨- سورة النحل: الآية: ١٠٨.
٩- سورة محمد: الآية: ٢٣.
١٠- سورة الحشر: الآية: ٢.
١١- سورة النجم: الآية: ١١.
١٢- سورة يوسف: الآية: ١٠٨.

مؤاخذات على نظرية الشورى

◆ سمير جميل الربيعي

أكثر القضايا قلقاً هي أكثر من تحتاج إلى اهتمام وعناية ونظر، وما من مسألة أُثير حولها جدل عنيف بين المسلمين، مثل مسألة الإمامة وتفرعاتها، بحيث أصبحت الباعث الأول عن تفتق نظريات عدة للحكم في الإسلام، كنظرية الشورى ونظرية النص ونظرية الوراثة، فتبنت كل فرقة أو مذهب نظرية من هذه النظريات، ومرجع عدم اتفاقهم على نظرية واحدة عائد إلى طبيعة الشخص المختار لمنصب الإمامة أو الخلافة وآلية اختياره، فمنهم من يوجب في الإمام أو من يخلف رسول الله ﷺ العصمة والأعلمية، أي له القابليّة الروحية والعلميّة التامة لسد الفراغ الذي أحدثه انتقال النبي الأعظم إلى الرفيق الأعلى، وهذا لا يقوم به إلّا من كان بمثابة النبيّ بالفضائل والكمالات، وله ما للنبي عند اللّه تعالى عدا الوحي التشريعيّ، وتتم آلية اختياره بالتنصيص – ينص عليه الله ورسوله- في حين ذهب قسم منهم إلى القول بنظرية الشورى وهؤلاء لا يرون ضرورة أن يكون معيناً من قبل الله ورسوله، ولا أن يكون أعلم الناس بأمور الدين والدنيا، وألصقهم بالقرآن وأحكامه، وآلية اختياره بالشورى وإجماع الأمة – وفي هذا كلام- ومتبني هذه النظرية اصطدموا بمنطق القرآن الواضح في أن قيادة الأمة يجب أن تكون في أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ، وإلا كان القائد أضرَّ الناس بالأمة، إذ لا يخرجها من هاوية عمياء بكماء إلا وأركسها في داهية بهماء صماء، محذراً إياها من أن تتردى في الهوان والضعف من بعد ما أعزها الله، فيكون حالها حال التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً﴾ [1].

ولما وجدوا في مقام الإمامة المقدس حائلاً كبيراً وعقبة كؤوداً تمنعهم من فرض نظريتهم في الحكم، عمدوا إلى مصطلح الإمامة وخففوه من قداسته، بأن استحدثوا لفظاً سياسياً بديلاً أكثر مرونة أقحموه في حمى السياسة يتوائم مع نظريتهم في الحكم واختيارهم الحاكم، فجاؤوا بلفظ الخلافة لفظ فيه عمومية تتسع لأي شخص هم يختارونه، وإن لم يكن أعلم الناس وأصلح لهم، وبمقتضى ذلك يكون الإمام وغيره على حد سواء في مقام التصدر وقيادة الأمة، وللأمة أن تختار مع العلم أن القرآن قد عرّض بمن جعل الإمام كغيره من الناس في قيادة الأمة ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [2].

لقد جعلوا الخلافة رديفاً للإمامة، وكأنَّ الخلافة هي الإمامة وليست أثراً من آثارها، فالخليفة الذي ارتضوه لأنفسهم عندهم هو الإمام، والهدف واضح من وراء ذلك، هو صرف اعتقاد الأمة عن كون الإمامة منصباً إلهياً مقدساً منوطاً بيد الله تعالى ورسوله مخصوصاً بالإمام دون غيره، وإنما هو أمر متروك لإجماع الأمة واختيارها، فلا تكون قيادة الأمة بعد رسول الله ﷺ حكراً مقصورةً على الإمام المعصوم، ولا حرج أن يتولى هذا المنصب أي أحد، حتى وإن لم تكن له سابقة في دين أو أثرة في علم يذكر، ما دام قد اجتمع عليه نفر من الناس.

إن واعية الأمة لم تتقبل هذا المنطق، لا سيما بتوافر الأدلة العقلية والنقلية من قرائن وحجج وأحاديث صحيحة متواترة، فكلها أكدت ونصَّت على أن الإمامة منصب إلهيٌّ ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾ [3]، وأن الأئمة معيّنون بالأسماء مستخلفون من قبل الله ورسوله، يستوعبون بمواهبهم التي أفاض الله بها عليهم كل مقامات الرسول ﷺ ما عدا الوحي التشريعي، قال رسول اللّه ﷺ: (الأئمة من بعدي اثنا عشر أولهم أنت يا علي، وآخرهم القائم الذي يفتح اللّه تعالى ذكره على يده مشارق الأرض ومغاربها)[4] ، (الأئمة من بعدي اثنا عشر، تسعة من صلب الحسين أمناء معصومون، ومنا مهدي هذه الأمة)[5] (الأئمة بعدي اثنا عشر، تسعة من صلب الحسين ﷺ والتاسع قائمهم ، فطوبى لمن أحبهم والويل لمن أبغضهم)[6] وهذه الأحاديث الصحيحة، لم

١- سورة النحل، الآية ٩٢.
٢- سورة يونس، الآية ٣٥.
٣- سورة المائدة، الآية ٥٥.
٤- عيون أخبار الرضا (١/ ٦٥).
٥- كفاية الأثر، ص٢٩.
٦- نفس المصدر، ص ٣٠.

تدع لذي مسكة أن يقنع نفسه بقبول ما تقدم، عندها لجأوا إلى ما يوهمون به العامة من أقاويل وآراء هي أقرب إلى الشبهات منها إلى الأدلة والبراهين ومنها:

قولهم: وإن ثبت عندكم أن الإمامة منصب إلهي متعين من قبل الله سبحانه وتعالى، والإمام هو المختار والأفضل لهذا المنصب بكل تأكيد، إلا أن المصلحة الكبرى للإسلام قد تقتضي من جماعة المسلمين تعيين شخص آخر لتولي المنصب، من مبدأ (يجوز تقديم المفضول على الفاضل)، وقد يحسب هذا الفعل مخالفة لما أمر الله به. إلا أنهم راعوا بإجماعهم على اختيار غير المنصب من قبل الله ورسوله المصلحة العامة، وبمقتضاها حافظوا على بيضة الإسلام وحفظوا نظام الملة والجماعة، وفي ذلك جابرية لهذا الكسر ورتق لهذا الفتق.

يا سبحان الله أي قول هذا! فما وجه المصلحة التي رأوها من دون أن يراها الله ورسوله، أهم أعلم من الله ورسوله؟ ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ثم منذ متى استطاعت الأمة أن تختار لنفسها ما يصلحها، إن مثل هذا الشخص لا يمكن للأمّة أن تتعرّف عليه بنفسها لأنها عاجزة عن كشف ما يصلحها عمّا يفسدها، ثم ما هذا المبدأ الذي ادعوه (يجوز تقديم المفضول على الفاضل) الذي يتجافى مع روح الإسلام وقيمه السامية والتي تلزم بتقديم العلماء وتستهجن على من يساويهم بغيرهم ناهيك عمن يقدم عليهم غيرهم، يقول سبحانه وتعالى ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾[٧]، فأي كسرٍ سيجبر وأي فتق سيرتق وهم ينصبون غير المختار من قبل الله، أليس في هذا تحدٍ سافر لله ورسوله؟ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾[٨]؛ إذ إنهم وضعوا أنفسهم واختيارهم في قبالة الله واختياره ﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِيناً﴾[٩].

وذهبوا إلى قول آخر مفاده: إن ثبت عندكم أن الإمامة منصب إلهيٌّ متعين في قيادة الأمة دينياً ودنيوياً، لم يثبت عندنا ذلك، إلا فيما اقتصر على التشريع والفتيا، فالإمام هنا في مقام الإرشاد وإلقاء المعارف والأحكام الشرعيّة والتربية المعنويّة والروحيّة. وقيادة الأمة أمر دنيوي متعلق بإدارة الدولة وإجراء الأحكام الظاهريّة والتدابير الحكوميّة، من فرض هيمنة وتطبيق قوانين ورعاية العامة وحفظ الحقوق، ولا شرط فيمن يتولها أن يكون عالماً بالفتيا والتشريع وأحكام القرآن، فيصح أن يكون الخليفة أو الحاكم أيّ أحد عنده أرجحية الحكم وإدارة الدولة ينتخبه عامة الناس.

إن القائل بهذا الرأي كأنه ينطق عن نظرية الفصل (فصل الدين عن السياسة)، التي تخالف تماماً نظريات الحكم في الإسلام، إذ إن الدين في المجتمعات المسلمة هو أسلوب حياة تنتهج بنهجه وتعيش في كنفه وتحت رعاية أحكامه، وما من صغيرة ولا كبيرة إلا ويتدخل فيها، فالدين قد تدخل في أدق تفاصيل حياتنا اليومية ألا يتدخل في قضايانا المفصلية؟

ثم إن هذه النظرية تناقض نفسها بنفسها، فهي من باب لا تشرط في كون المُنَصب للحكم منصباً عن طريق الله والرسول، أي لا يحتاج إلى غطاء ديني في إثبات مشروعية حكمه- نعم تثبت مشروعية الحاكم عندها بمجرد جلوسه على كرسي الحكم وإن استولى عليه بالقوة- في حين في مكان ثاني تقول يكفي في المقام أن ينتخبه جماعة من الناس فتثبت بيعته في أعناق المسلمين، أي أن مشروعية حكمه مستمدة من إجماع الأمة عليه، وإجماع الأمة عند معتنقي هذه النظرية هو أمر شرعه الشارع واعتبره وصححه، وهذا هو الغطاء الديني بعينه، انظر إلى تهافت هذا القول وتناقضه.

ألا ترى إنهم بذلك يحاولون أن يلغوا دور الإمام ويبددون قدراته الهائلة، ويقصرونها في الفتيا والإرشاد، وبذلك يحرمون الأمة من هذا العطاء اللامحدود والرحمة الربانية المهداة، فللإمام مهام أوسع من ذلك، فهو وإن كان يمارس دوره في تفسير القرآن وشرح مقاصده، ومكلف ببيان أحكام الحوادث الطارئة على المجتمع وفق كتاب الله وسنة نبيه، إلا أنه له دور تنفيذي وإجرائي صميمي في صيانة الدين من الدس والتحريف وحفظ نظام الملة، ومع الأسف الشديد تحقق لهم ذلك، فتثقف الكثير من الناس بهذه الثقافة الشوهاء، حتى كبار الصحابة لم يسلموا من مزالقها، إذ لام الكثير منهم الإمام الحسين عليه السلام حينما خرج ليمارس دوره وواجبه المقدس، قائلين لو جلس في داره للفتيا وإرشاد الناس لنال بذلك الأجر الكبير.

٧- سورة الزمر، الآية ٩.
٨- سورة الحشر، الآية ٨.
٩- سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

شهود مقربون

◆ زينب حسين

ويحكم لماذا شهدتم عليّ؟ وكيف نطقتم ضدي؟ وأنى لكم الجرأة على خيانتي؟ ومنذ متى تخرجون عن طوعي وتتعدون على أوامري؟ أيعقل بأنكم تهتكون ستري؟ وتكشفون سري وأنتم أعز ما لديّ.

ذهلت وصدمت وصرعت وزلزلت عندما رأيتهم بأم عيني وهم يذهبون الواحد تلو الآخر بكل سهولة ويسر، وينطقون بلسان فصيح وصريح ويشهدون ضدي في المحكمة أمام القاضي بعد أن أنكرت وبشدة كل التهم الموجهة ضدي، وأنا من هول المشهد أصبحت لا أستطيع الحراك، وليس لديّ القدرة على التحكم في كل أعضائي، حتى لساني قد أخرس عن الكلام، وكأنني أصبت بالشلل، لكنني كنت أصرخ عالياً في داخلي: إلى أين تذهبون؟ بالله عليكم ارجعوا، لا تتكلموا بأي شيء، كيف تفعلون هذا بي؟

لكن لا أحد يسمعني إلى أن ثبتت كل الأدلة عليّ بشهادة الشهود الذين لم أتوقع منهم التكلم ضدي، ورفعت المحكمة الحكم بإدانتي القاطعة، صرخت وصرخت بعد أن انطلق لساني ولطمت وجهي وضربت على يدي ورجلي وأصبت بحالة هستيرية وأنا أعاتبهم وهم يجادلونني بكل جرأة.

قلت لهم بحسرة:

لقد كنتم جزءاً مني، وحرصت دائماً على العناية بكم، وبالغت بالاهتمام بكم لكي تكونوا بأفضل حال وأتم الصحة والعافية، ولم أقصر في حقكم يوماً، وكل ما جنيته من مال هو لأجلكم لكي لا تصابوا بالمرض أو الوهن أو بالضعف، فكيف تتجرؤون على خيانتي؟

فردوا عليَ بكل ثقة:

أنت الذي خنت الأمانة أولاً عندما أطعمتنا وسقيتنا من الأموال المحرمة، وأمرتنا بفعل السيئات والموبقات.

أجبتهم بغضب:

لقد خرجت قبل يومين من المحكمة ببراءة من التهم الموجهة لي لعدم ثبوت الأدلة ولعدم توفر شهود العيان، فلِمَ شهدتم ضدي الآن؟ وكيف نطقتم وأنتم لا تنطقون؟ وكيف أخرس لساني ولم أستطع منعكم من الكلام؟ ولا منعكم من التحرك من أماكنكم؟ لا بد أن أحداً قد سحركم.

فنطقوا وقالوا:

﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]، وهذا وعد الله تعالى الذي حذركم من قبل بقوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2]

١- سورة فصلت، الآية: ٢٠.
٢- سورة يس، الآية: ٦٥

صرخت عالياً:

لا.. هذا غير معقول، إنه مستحيل، أتقصدون بأنني مت؟ وهذا يوم الحساب؟

وهنا سمعت صوت جهورياً له صدى قوي يتلو آيات من القرآن الكريم:

﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ..وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3].

تزلزلت الأرض تحت أقدامي وبدأت أحس بلفحات نار جهنم تقترب مني، فصرخت باكياً متوسلاً بأعضائي: أرجوكم اذهبوا الآن وبدلوا أقوالكم، فلا طاقة لي لتحمل نار الجحيم، أتوسل إليكم بأن تنقذوني مما أنا فيه وتدلوني على طريق الخلاص.

فردوا بقولهم:

لا يمكننا تغيير أقوالنا لأن الله تعالى أمرنا بالنطق عندما أصررت على اقتراف الذنوب والمعاصي ولم تعترف بأخطائك، ولو كنت من الذين تابوا توبة نصوحة وأقررت بذنوبك وتضرعت إلى الله عز وجل بغفرانها، فإنه سبحانه يأمرنا بسترها وكتمان ما صدر منك من معاصي نتيجة لتوبتك، أما الآن فقد فات الأوان.

ففزعت من نومي وأنا اتصبب عرقاً من أم رأسي إلى أخمص قدمي، وأنفاسي تتسارع، وقلبي ينبض بشدة، وأنا أردد: هل لي الآن من توبة؟ هل لي الآن من توبة؟

حمدت الله وشكرته لما أدركت بأنني ما زلت على قيد الحياة، ولم يفت أوان التوبة بعد.

(اللهم إني تبت إليك).

٣- سورة فصلت، الآيات: ٢٠-٢٢.

التسبيح

آثار كبيرة وثمرات يانعة

◆ حسن شاكر الجبوري

يعد التسبيح لله تبارك وتعالى وتنزيهه من أعظم الأذكار المأثورة، وأنفع العبادات والطاعات التي ينال العبد بها القرب من الله تبارك وتعالى، وذلك بلحاظ ما ورد في القرآن الكريم من آثار عجيبة ونتائج كبيرة تبين عظم ما أعدّه المولى عزَّ اسمه من عطايا كبيرة وأجور كريمة لأهل هذه العبادة المباركة.

وعند تتبع النصوص القرآنية الكريمة بشيءٍ من التفصيل، نجد أن هناك الكثير من تلك النصوص تبين وتشير بوضوح لهذا الأمر، وتعطي دلالة واضحة على أن التسبيح هو أحد سبل النجاة والفلاح والتغلب على الصعاب والأزمات التي يواجهها الإنسان خلال مسيرة حياته ورقيه في مدارج الكمال الإنساني، فضلاً عن آثاره الأخروية العظيمة، وهنا نعرض لبعض من ثمرات وآثار التسبيح الواردة في الآيات القرآنية المباركة التي تؤكد ما أشرنا إليه في هذا السياق:

التسبيح يرد القدر

فطبقاً لما ورد في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، فإن التسبيح في هذه الحالة يرد القدر كما في الآية التي تذكر جانباً مما جرى في قصة نبي الله تعالى يونس (عليه السلام) الذي كان يقول في بطن الحون : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وينجيه من الهلكة والمخاطر، فلولا تسبيحه لله وتقديسه له لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2].

التسبيح شفاء للصدور

ومن آثار التسبيح لله تعالى أنه يشفي صدر المؤمن ويجعله يعيش حالة من الطمأنينة والراحة النفسية، ويرفع عن قلبه الهموم والأحزان والخطوب، ويهون عليه ما يعانيه ويعيشه من مصاعب قد يتعرض لها في الكثير من تفاصيل حياته، وهذا ما دلّ عليه قوله عزَّ وجلّ في ختام سورة الحجر وهو يخاطبه نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله): ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[3]، إذ (وصّاه سبحانه بالتسبيح والتحميد، والسجدة والعبادة، أو إدامة العبوديّة، مُفرِّغاً بذلك عن ضيق صدره بما يقولون، ففي ذلك استعانة على تحمّل المصيبة..)[4]، وهكذا جاء الخطاب الإلهي بلسماً شافياً لما كان يعانيه النبي (صلى الله عليه وآله) من ضيق وأذىً، إذ خاطبه المولى تبارك وتعالى: (فافزع إلى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد والصلاة يكفك الهم ويكشف عنك الغم).[5]

التسبيح يقي العقاب الإلهي

وهذا ما نجده جلياً في قوله تبارك وتعالى :(قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ)[6]، حيث يصف حال أصحاب البستان (الجنة) التي نزل عليها العقاب الإلهي جزاءً لتغييبهم مشيئة الله تعالى ويده الغيبية التي تقف وراء كل حركة أو سكنة في الوجود، واعتمادهم على أنفسهم وما يدركونه من أسباب ظاهرية، أو امتناعهم عن إخراج حق الفقراء والمساكين من محصول تلك البستان، (المراد بتسبيحهم له تعالى تنزيههم له من الشركاء، حيث اعتمدوا على أنفسهم وعلى سائر الأسباب الظاهرية فأقسموا ليَصرمّنها مصبحين (يقطفون ثمارها صباحاً)، ولم يستثنوا لله مشيئة فعزلوه تعالى عن السببية والتأثير، ونسبوا التأثير إلى أنفسهم وسائر الأسباب الظاهرية، وهو إثبات للشريك، ولو قالوا: لنصرمنها مصبحين إلا أن يشاء الله كان معنى ذلك نفي الشركاء وأنهم إن لم يصرموا كان لمشيئة من الله، وإن صرموا كان ذلك بإذن من الله فلله الأمر وحده لا شريك له.

وقيل: المراد بتسبيحهم لله ذكر الله تعالى وتوبتهم إليه، حيث نووا أن يصرموها ويحرموا المساكين منها، وله وجه على تقدير أن يراد بالاستثناء عزل نصيب من الثمار للمساكين)[7].

وهناك ثمار أخرى للتسبيح أهمها:

* انه يجلب الرضا كما في قوله تعالى: (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى)[8].

* انه يثبت حكمة الله تعالى في أفعاله، وتنزيه سبحانه عن العبث، كما أنه ينجي من عذاب النار بحسب لقوله تعالى:﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[9].

* انه جاء في القرآن في سياق إثبات صدق الله تعالى في قوله ووعده، وتنزيهه عن الكذب والإخلاف، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[10].

وهناك الكثير من الآثار المباركة والثمار الطيبة لتسبيح الله تبارك وتعالى وردت في مواطن كثيرة من القرآن الكريم لم يتسع المقام لذكرها، لكن في مجملها تشير وتؤكد حقيقة قرآنية راسخة هي أن التسبيح شعيرة إسلامية تزيد في إيمان المؤمن، وتخلع عليه هالة من الخشوع والروحانية، وترقى به في مدارج الكمال والنقاء الروحي.

١ـ سورة الأنبياء، الآيتان ٨٧ ـ ٨٨.
٢ـ سورة الصافات، الآيتان ١٤٣ ـ ١٤٤.
٣ـ سورة الحجر، الآيتان ٩٧ ـ ٩٨.
٤ـ تفسير الميزان، السيد الطباطبائي (٢/ ٥٢٥).
٥ـ تفسير الصافي، الفيض الكاشاني (٣/ ١٢٤).
٦ـ سورة القلم، الآية ٢٨.
٧ـ تفسير الميزان، السيد الطباطبائي (١٩/ ٣٧٥).
٨ـ سورة طه، الآية ١٣٠.
٩ـ سورة عمران، الآية ١٩١.
١٠ـ سورة النحل، الآية ١.

العبودية للّه معراج الصالحين

◆ عامر عزيز الأنباري

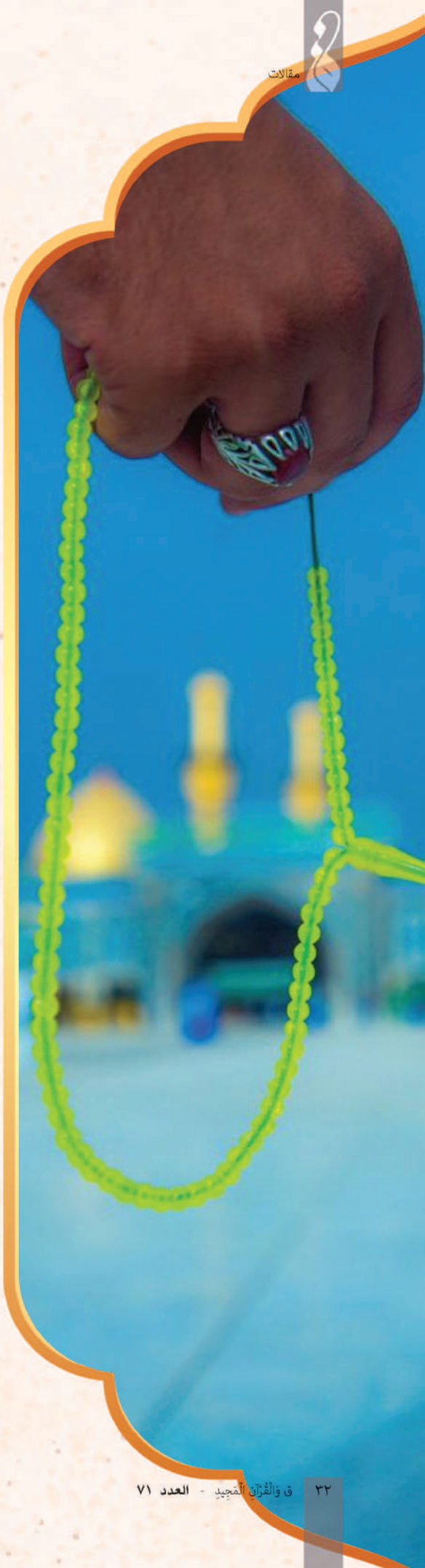

كيف تتحول العبودية بكل ما فيها من معنى الانتكاس إلى سلم يرقى بالعبد في ملكوت السماوات العلا؟! وكيف يتغير طعمها المر العلقم فيصبح أحلى من الشهد حينما تكون تلك العبودية لمن كتب على نفسه الرحمة ومن آلى على نفسه لا يكون فيها حق لأحد سواه فهو الملك الحق ؟! فلنتوقف عند ساحل العبودية لله وحده ونلقي بمرساة العشق عند ساحل جوده وكرمه، لنفهم كيف تكون العبودية الحقة وكيف تناولها الخطاب القرآني وكيف هي آثارها؟

الحرية التي تخترق الآفاق

ما أروع تلك العبودية وما أجملها وما أحلاها وما أسعدنا بها! .. تلك العبودية حينما تكون لله وحده؛ تتلاشى كل الكلمات وتذوب كل جبال الجليد التي تحيط بالعبد ويسيح بروحه الولهى سياحة لا تحدها الحدود ولا تقيدها القيود فهي الحرية بعينها، بلى هي الحرية بعينها هي الحرية التي نتحرر بها من ذل النفس الأمارة بالسوء ومن قيود الشياطين والأبالسة هي الحرية التي نخترق بها الآفاق تلو الآفاق هي العبودية الحقة لله الواحد الأحد.

الشعور بالتحنّن والدفء والسكينة

العبودية لله الواحد الأحد تصنف إلى صنفين فهنالك عبودية عامة وهنالك عبودية خاصة، فأما الأولى فهي عبودية الخلق عامة لله تعالى، فالكل عبيد لجبار السماوات والأرض شاءوا ذلك أم أبَوا والكل خاضع لجبروته ولملكوته ولسلطانه والقرآن الكريم يصف هذا اللون من العبودية للخلق أجمع بقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[1].

١- سورة مريم، الآية ٩٣.

وهنالك العبودية الخاصة، وبها يختص تبارك وتعالى الخاص الخواص من عباده، ويكتنفهم في ظلال رحمته، ويهبهم في مجال مخاطبته من التعابير ما هو أجملها وأرقها عذوبة ورحمة ما فيه من الدلالة على القرب والتفضيل والإنس برضاه، فهم الأقرب منه إليه دون سواهم من العالمين، فهو يمنحهم من الخصوصية باختيارهم عبيداً خلصاء له، بما يشعرهم بالحنان والتحنان والقرب والدفء والسكينة، فالعبودية ما دامت لله وحده فهي مختلفة تماماً عما سواها، بعكس ما يكتنف المرء من مقت وغيظ حين يلوح له شبح الاستعباد والخوف من أن يصبح عبداً لقرين له في الخلق.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾

إنّ هذا الخطاب بعينه هو المحبب إلى الله تعالى، فحينما يوجه خطابه لنبيه وهو سيد من خلق في هذا الوجود وأفضل من أرسل من الرسل، فلا يقول يا سيد الخلق ويا أفضل الرسل، بل يمنحه ما يشعره بالاطمئنان والسعادة بالقرب، فيوحي إليه بعدما عُرّج به إلى السماء، وبما حظي به في ليلتها بالقرب من بطنان العرش وازداد به رفعة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ..﴾[2]، فلم يعبر بقول (سبحان) من رقى وارتقى بنبيه وسيد رسله وخير خلقه، بل وصفه بما حببه إليه، وهو قوله (أسرى بعبده) وهو منتهى التذلل والعبودية لخالقه.

الكبرياء ردائي والعظمة إزاري

إنّ هذا الجوهر من التحبب والعلاقة المتينة هو ما أراد الله تعالى للعبد أن يتحلى به في خشوعه وخضوعه، وهذا اللون من العبودية أراده الله تعالى أن يكون ملاصقاً لألسنة عباده بتكرار هذا الوصف المحبب إلى الله تعالى في تكرار التشهد بشكل يومي ومستمر في التشهد عند الصلاة بقولنا: (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)، فنبدأ بقول (عبده)، وهي الصفة الأسمى لنبيه المرسل ﷺ بعيداً عن الوصف الذي بلغ حدّ الكفر والشرك بالله بذوي أديان أخرى ممن عرفوا بتأليههم لأنبيائهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[3]، فمحمد ﷺ هو عبدٌ لله وهو أروع توصيف لنبيه ، فالله تبارك وتعالى يربأ بعباده عن الكِبر والذي في قلبه كبر يكبه الله على وجهه في نار جهنم ورد في الحديث القدسي: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نازعني فيهما أدخلته ناري ولا أبالي)[4].

تصاعد الرحمة بتصاعد الابتلاء

إنّ هذا النوع من الخطاب يسري على باقي أنبياء الله ورسله، فهم الأقرب إلى الله تعالى من سائر خلقه، بيد أن اختيار لفظة العبد والتحبب بها تكون حاضرة بشكل أكبر عند تصاعد ابتلاء الله تبارك وتعالى لأنبيائه ورسله، وكذلك لسائر خلقه، فهو حينما يذكر النبي أيوب ﷺ يقول جل من قائل ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[5]، فلم يذكره بامتياز النبوة فيقول (النبي أيوب)، بل قال (عبدنا أيوب)، فمن الواضح أن ابتلاء النبي أيوب ﷺ قد بلغ أشدّه وتصاعد معه صبره على هذا الابتلاء، وبالقدر الذي رفع مكانته عند الله تعالى، ورفع معه تحننه (جل وعلا) عليه بالقدر الذي شاء تعالى أن يعجّل له تداركه بالرحمة في الدنيا، فعوّضه ما كان قد ابتلاه به ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾[6] ، فكان تصاعد الرحمة بقدر تصاعد الابتلاء والمحنة. وأحياناً يكون الابتلاء من نوع آخر يتعرض فيه العبد للمحن والاضطهاد أو الاستشهاد، فأمثال هؤلاء أعدّ الله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر، وهم ليسوا بأموات بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[7] .

حبيبه.. مرشحه الأول للاختبار!

إنّ مما ينبغي الإشارة إليه أن معايير الحب والابتلاء والاختبار في علم الدنيا تختلف تماما عن معايير العلاقة والحب مع الله تعالى، فعلى سبيل المثال نجد أن هنالك من يحب ولده حباً شديداً يكون حريصاً عليه من كل شيء، وغالباً ما يكون مردود ذلك الحرص عكسياً على تهذيبه وعلى مستوى تربيته، بينما عند الله تبارك وتعالى فهو مختلفٌ تماماً، فحينما يحب عبداً من عبيده؛ فسيكون ذلك العبد مرشحه الأول للاختبار والابتلاء ومعهما تساميه رفعته، ورد في الحديث الشريف: (إنَّ عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء ، فإذا أحبَّ الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء)[8]. فالأنبياء والرسل والصالحون هم أشد الناس ابتلاءً والنبي الأكرم ﷺ وهو حبيب الله إلا أنه تعرض إلى أشد وأعتى أنواع الاختبارات التي لم يتعرض لها نبي أو رسول من قبله، يقول ﷺ: (ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت)[9]، فهذا الحب الذي امتاز به من قبل الله تعالى كان أمامه بالمقابل أعلى درجات الاختبار في الشدائد، وهذا هو سر هذا الفارق والمفاضلة.

يمنح عباده طوقاً من الحماية

يتحنن الله تعالى على عباده رأفة بهم داعياً لهم بالعودة والأوبة بقوله (يا عبادي) أيضاً، وخصوصاً لمن يؤمنون به، وتأخذهم الندامة في حياتهم جراء اقترافهم الخطايا بعدما تتلاعب بهم الأهواء يمنة ويسرة وتأخذهم الغفلة، فهم نادمون مهمومون على تفريطهم، وهنا يُبرز الله تعالى لهم وافر رحمته قاطعاً عليهم طريق اليأس من رحمة الله بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[10] ، أي أنتم (عبادي) وأنا لن أتخلى عنكم إلي فأنا الغفور الرحيم، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فإياكم أن تدفع بكم الظنون إلى اليأس من رحمتي ، ولا ينتهي الأمر عند ذلك الحد، بل يتصدى جل وعلا لمن يعادي عباده ويتربص بهم الدوائر وهو إبليس اللعين ومن معه من شياطين الجن والإنس، فيمنح عباده طوقاً من الحماية والقدرة على الصمود بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[11]، ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[12]، وما يستثنى منهم إلا من اتبع الرجيم طوع نفسه -بالطبع- فالله وكيل بعباده وهو المدافع عنهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[13]، وكما نلاحظ فالتعابير القرآنية لا تنفك من تكرار (عبادي.. عبادي) لما تنطوي عليه العبودية من معاني الرأفة والرحمة والصلة الخالصة بالله تعالى، وبما تفيض به من معاني الحب الالهي.

٢- سورة الإسراء، الآية ١.
٣- سورة التوبة، الآية ٣٠.
٤- ملاذ الأخيار في تهذيب الأخبار، العلامة المجلسي (٥٩/٥).
٥- سورة ص، الآية ٤١.
٦- سورة الأنبياء، الآية ٨٤.
٧- سورة آل عمران، الآية ١٦٩.
٨- شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني (٢٠٩/٩).
٩- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، (٢٤٢/١).
١٠- سورة الزمر، الآية ٥٣.
١١- سوورة الإسراء، الآية ٦٥.
١٢- سورة الحجر، الآية٤٢.
١٣- سورة الحج، الآية ٣٨.

وقفة مع.. (تفسير المتدبرين)(١)

جاء القرآن الكريم بمنهاج عظيم يحقق كل متطلبات الحياة الإنسانية، وخط عبر هذا المنهاج الطريق الواضح للوصول إلى رضوان الله تعالى والفوز بالجنة، ولكي نعي هذه الحقيقة الراسخة، ونتعرف على آثارها المهمة؛ نعرض قراءة تفسيرية لبعض النصوص القرآنية التي يمكن من خلالها معرفة المراد الإلهي منها، وطبيعة الأوامر الإلهية التي ألزم المولى تبارك وتعالى عباده الالتزام بها والعمل بموجبها، وحذر ـ في جانبٍ آخر منها ـ من مغبة نقضها والإتيان بالاعمال والسلوكيات المنحرفة التي تستدعي حلول الغضب الإلهي، ومن تلك النصوص القرآنية قوله تبارك تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢)

وهنا نحاول الوقوف عند كل آية من آيات هذا النص المبارك بشيءٍ من التفصيل:

١- موقع السراج في الطريق إلى الله، تفسير الشيخ حبيب الكاظمي للجزء الثلاثين (بتصرف).
٢- سورة المطففين، الآيات ١-٦.

كلمتا «طوبى» و «وَيْل»

إن الله تعالى يُظهر في كتابه رضاه عمّن يريد أن يُثيبه بقوله: ﴿طُوبَى﴾[1]، فهي تدل على العيشة الهنيئة التي أعدّها الله تعالى لمن آمن وعمل صالحاً، وهي تعمّ الهناءة في الدنيا والآخرة .. وفي المقابل فإن القرآن الكريم يستعمل كلمة ﴿الْوَيْلُ﴾ لمَن يريد أن يُظهر سخطه عليه مهدّداً إياه به.

وغالباً ما يستعملها القرآن الكريم في تهديد المشركين[2] والكافرين[3] والمكذّبين[4] أي أصحاب الانحرافات العقائدية، إلا أنه استعمل هذه الكلمة أيضا في موارد الانحراف العملي ومنها ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[5]، و﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[6] و ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[7].

أشدّ التعابير

قد يَعُد البعض التطفيف في الكيل أمراً هيّناً في قِبال المحرّمات الكبيرة، إذ إن ما يوجب التطفيف قد يكون مقداراً من المال لا يُعتنى به، ولكن الآيات الرادعة عن التطفيف فيها وعيد شديد يبتدئ بالويل، وهذا التعبير عادة ما يُستعمل للعصيان الكبير، كالتكذيب بيوم الدين وهو المذكور بعد آيات لاحقة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

ومن هنا يُعلم أن الله تعالى يولي اهتماماً كبيراً لحقّ الناس، إلى درجة نرى معها أن النهي عن هذه الموبقة كان طلباً أساسياً لنبي الله شعيب عليه السلام حينما قال لقومه ﴿وَيا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الارض مُفْسِدِينَ﴾[8]، وقد صارت مخالفة هذا الأمر من موجبات إهلاك القوم .. وعليه، فإن الإفساد في الأرض جرم عظيم في قِبال الكفر بالله تعالى، ولهذا كان جزاؤهما القتل بحسب تفصيله الفقهي.

آثار أكل الحرام

إن القوم الذين يأكلون المال الحرام بالتطفيف، ستصيبهم تبعات أكلهم للمال بالباطل، ومنها ما ذكره النبي صلى الله عليه وآله في سياق بيان آثار الحرام في الأمم: (ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين)[9] ولعل التهديد بالويل من أجل تجنيبهم آثار أكل الحرام الذي يستهين به الكثير من الناس؛ لأن أثره ليس محسوساً كشرب الخمر، فقد يتورع البعض عن شرب المسكر، ولا يتورع عن أكل الحرام!

ومن هنا أيضاً وبّخ الإمام الحسين عليه السلام القوم على أكل الحرام الذي جرّهم لهذه العاقبة السيئة قائلاً: (قد مُلئت بطونكم من الحرام)[10].

علامتا المطفف

إن المطففين كما ذكرتهم الآية، يجمعون بين صفة الأنانية والحرص على جلب المنافع لأنفسهم، فتراهم عند الكيل لأنفسهم يستوفون حقوقهم كاملة غير منقوصة ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ وبين صفة الغشّ والإخلال الاقتصادي، فيُخسرون غيرهم عند الاكتيال ﴿وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ وكلاهما صفتان مذمومتان ـ وإن كان الأول لا يصل إلى درجة الحرمة ـ ولكن الذمّ على مجموع هذه الحالة من حب الذات، وخيانة الغير.

ومن الملفت أن الآية ذكرت الفئة المتضررة بتعبير الناس ولم تذكر خصوص المسلمين مثلاً، لإفادة قبح هذا الغش مع أيٍّ كان من عباد الله تعالى.

تضييع الحقوق

إن الآية وإن كانت متوجّهة للمطففين في جانب المكيل والموزون، إلا أن روح الآية من الممكن أن تشمل كل مَن يتعدّى على الغير في تعامله مضيعاً حقه؛ كمَن يتعهد لأحدهم بأن يقوم بعمل بوصف معيّن وفي مقام العمل لا يأتي بما تعهد به؛ أو كمَن يعتدي على مال الغير عدواناً.

الاحتمال المنجز

إن الذي يرتكب المعصية كأنّه ـ في مقام العمل ـ ليس له حتى ظن بيوم الحساب؛ لأن العاقل يحسب حساب الضرر المحتمل، فيرى دفعه لازماً عندما يرى أن المحتمَل ممّا يُعتدّ بخطره!

ومن هنا أشارت الآية إلى مرحلة الظن ﴿أَلا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ وإن كان البعض يرى أن الظن هنا بمعنى (اليقين) كما في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ﴾[11]، حيث روي كما في تفسير العياشي عن علي عليه السلام أنه قال: (يوقنون أنهم مبعوثون، والظن منهم يقين)[12].

الردع الأفضل

إن الحل الجامع للردع عن كل المحرمات ـ حتى في الخلوات ـ هو ما ذكره القرآن الكريم من تذكّر العرض الأكبر بين يدي رب العالمين (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العالمين، وحينئذ لا معنى لإمكانية القيام بعمل في الخلوة، وذلك لعدم تحقق مفهوم الخلوة أصلاً، بل إن كل ما يفعله العبد في حكم الخلوة ما دام يرى نفسه بعين الله تعالى .. ولهذا تدعو الآية إلى تذكّر القيام بين يدي رب العالمين ردعا للتطفيف، كحرام من المحرّمات، التي قد لا يطّلع عليها المتعامل الآخر).

١ـ سورة الرعد: الآية ٢٩.
٢ـ ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ سورة فصلت: الآية ٦.
٣ـ ﴿وَوَيْلٌ لِلْكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ شَدِيدٍ﴾ سورة إبراهيم: الآية ٢.
٤ـ ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ سورة الطور: الآية ١١.
٥ـ سورة المطففين: الآية ١.
٦ـ سورة الهمزة: الآية ١.
٧ـ سورة الجاثية: الآية ٧.
٨ـ سورة هود: الآية ٨٥.
٩ـ الكافي، الكليني (٢/ ٣٧٤).
١٠ـ تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ص٢٤٠.
١١ـ سورة البقرة: الآية ٤٦.
١٢ـ كتاب التفسير (١/ ٤٤).

العلامة الطباطبائي

صاحب تفسير الميزان

ولد العلامة محمد حسين بن السيد محمد بن السيد محمد حسين الميرزا علي أصغر شيخ الإسلام الطباطبائي التبريزي القاضي[1] في مدينة تبريز يوم الجمعة في التاسع والعشرين من ذي الحجة الحرام عام (١٣٢١هـ)، في بيت عرف بالعلم والفضيلة وأسرة عريقة. فجدُّ أسرة الطباطبائي هو السيد سراج الدين عبد الوهاب الحسني الحسيني المولود في سمر قند، والذي انتقل بعدها إلى مدينة تبريز في شمال إيران. كان الجد المذكور يلقب بـ (شيخ الإسلام) في أذربيجان قبل ظهور السلالة الصفوية، وإبان الحرب الضروس التي وقعت بين إيران والدولة العثمانية عام (٩٢٠هـ-١٥١٤م).

دراسته

دخل العلامة المدرسة بعد أن فقد والديه في طفولته، عندما كان في التاسعة من عمره، ورغم همِّ اليتم وحزن فراق الأحبة، منّ الله عليه بإنهاء دراسته العالية خلال فترة زمنية قياسية، واستطاع تعلم ما احتوته المدارس القديمة والحديثة في ذلك الوقت، في غضون خمس سنوات فقط، إلى جانب حفظه للقرآن وبعض الدواوين الشعرية. شرع بعد ذلك بدراسة العلوم العربية كالصرف، والنحو، ومعاني البيان، إذ نهل من كأس علماء وأساتذة كبار من أمثال الشيخ محمد علي سرابي الذي يعد من الأدباء الأفذاذ في عصره، ولكن يبدو أن العلامة لم يكتف بهذا القدر من العلوم، فبدأ بدراسة السطوح العالية في الفقه، والأصول، والفلسفة، والكلام، في مسقط رأسه (تبريز) لدى أساتذة تلك العلوم. ولما كان العلامة يتمتع بفكر وإحساس فلسفي متميز؛ لم يبخل على نفسه بتعلم الخط لدى أستاذ الخطوط في زمانه وهو المرحوم اغا ميرزا علي نقي- أحد أقارب العلامة نفسه - وهكذا كان السيد الطباطبائي عاكفاً على الدراسة ومشغولاً بالتعليم بين عامي (١٩١٨م- ١٩٢٥م) وخلال مدة ثمان سنوات استطاع إكمال دراسة مجموع الكتب المتعلقة بمرحلة السطوح. يقول في سيرته الذاتية الموجزة: (وعلى مدى ثماني عشرة سنة تقريباً عندما انتهيت من الدراسة بشكل كامل، فاختصرت معاشرة الأفراد من غير أهل العلم واقتنعت بالقليل من المأكل، والمشرب، والمسكن، وضروريات المعيشة، وخصصت معظم وقتي للدراسة والمطالعة).[2]

هجرته إلى النجف الأشرف

اشتد به الولع وفاض كأس حنينه بالشوق إلى مدينة جده أمير المؤمنين عليه السلام، ليحضر دروس شخصيات اعترف التاريخ بعظمتها وأقرّ بإنجازاتها في تلك البلاد، من مراجع التقليد وجهابذة الفقه، والأصول، والفلسفة، فلبث ثماني سنوات كاملة ينهل من معارف آية الله النائيني، وبضع سنين لدى آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني.

عودته إلى مسقط رأسه

قرر العلامة الطباطبائي العودة عام ١٩٣٥م كما يذكر هو: (بسبب تقلب أحوالي المعيشية، اضطررت للعودة إلى مسقط رأسي فمكثت هناك أكثر من عشر سنوات حيث يمكنني اعتبار هذه الفترة من حياتي بحق فترة خسارة، إذ كنت مجبراً بسبب الفاقة والعوز

١- أصول التفسير والتأويل ص٧.

٢- محمد حسين الطباطبائي مفسراً وفيلسوفاً / مركز الحضارة / تعريب عباس صافي ص١٤

على الاختلاط مع العامة، من أجل ضمان أسباب العيش حيث كنت أعمل بالزراعة وحرمت بذلك من التدريس والفكر العلمي إلا ما تيسر، وهذا ما جعلني أعاني كثيراً في صميم روحي)، وقد جسد تلك الحالة في بيت شعري رقيق قائلاً:

قد عشتُ فيها كئيباً خائباً خسرا

كأنني مصحفٌ في بيت زنديق[٣]

أساتذته

درس على يد أمهر الأساتذة وأكفأ العلماء وأشهرهم:

١- آية الله النائيني، الذي تتلمذ لديه مدة ثمان سنوات لدراسة الفقه والأصول.

٢- فقيه عصره السيد أبو الحسن الأصفهاني، وقد درس عنده الفقه.

٣- آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني، أحد كبار علماء النجف الأشرف والعرفاء والسالكين آنذاك، وقد أكمل العلامة الأصول وأبواباً من الفقه لدى هذا العالم الكبير، الذي لا يخفى على أهل الفضل والعلم ما له من علوّ في المقام وشموخ في المرتبة العلمية.

٤- وفي مجال الفلسفة تتلمذ لدى الحكيم السيد حسين البادكوبي (١٨٧٦- ١٩٣٩م)، درس عنده الفلسفة المشائية، والحكمة المتعالية والمشاعر، للمرحوم صدر المتألهين، ومنظومة السبزواري، والشفاء لابن سينا، وكتاب أثولوجيا لأرسطو والتمهيد لابن تركة، والأخلاق لابن مسكويه.

٥- درس الرياضيات العالية لدى السيد أبو القاسم الخوانساري، الذي كان يُعد من فطاحل هذا العلم في تلك الفترة، وهو الذي استطاع تثليث الزاوية بالبراهين. لكن معلومات العلامة لم تقتصر على الرياضيات والهندسة، بل كان له إلمام كامل بعلم الهيئة القديمة والحديثة.

٦- درس كليات علم الرجال عند الحجة الكوهكمري.

هؤلاء هم بعض أساتذة العلامة المشهورين، وإن كان قد درس كذلك لدى بعض المشاهير من الشخصيات، مثل آية الله الميرزا علي الإيرواني (مؤلف الحاشية على المكاسب وكتاب الكفاية) وكذلك المرحوم الميرزا علي أصغر ملكي مراتبي.

ويعود الفضل في نبوغ العلامة وتكامله في الأخلاق والعرفان العمليين إلى الجهود الحثيثة والنصائح المعنوية، لأستاذه الكبير والعارف العظيم والمفسر الأوحد صاحب المكاشفات ورجل الكرامات، المرحوم علي القاضي الذي يعتبر أستاذ الأخلاق في عصره وقائد السالكين وعشاق السير والسلوك في زمانه.

بعض الشخصيات الفذة التي تتلمذت على يده

١- مرتضى مطهري
٢- موسى الصدر
٣- حسين علي منتظري
٤- محمد بهشتي
٥- ناصر مكارم
٦- محمد تقي مصباح
٧- حسن زادة آملي
٨- عبد الله جوادي آملي. وغيرهم من العلماء الذين لا يسعنا ذكرهم في هذه المقالة الموجزة عن سيرة العلامة الطباطبائي.

بعض من أقوال العلماء فيه

الكلمات عاجزة عن مدح فيلسوف وعارف ومفسر وعالم وأستاذ وإنسان كامل، فنكتفي بما قاله الشيخ جعفر السبحاني وجوادي آملي والشيخ إبراهيم أميني.

يقول الشيخ جعفر السبحاني: (بالنظر إلى الخدمات التي قدمها المرحوم العلامة الطباطبائي والآثار العظيمة التي ورثناها عنه، يمكن اعتباره كذلك أمة لا فرداً واحداً، والمنجزات التي قام بها تعد أعمالاً لا يقوى على أدائها سوى أمة بأكملها[٤]

يقول الشيخ جوادي آملي: (فمن جهود هذا الفيلسوف الإلهي التي لا يشوبها شيء، في نشر معارف الكتاب وسنة المعصومين عليهم السلام نعرف أنه من زمرة أولياء الله).

وقال ايضاً: (إنه بلغ أوج التكامل العقلي والتجرد الروحي...)[٥].

ويقول الشيخ إبراهيم أميني: (كان عالماً ربانياً مهذباً وشخصية كاملة، اتصف بالتقوى والفضيلة...).

آثاره العلمية

بلغت آثاره العلمية اثنان وأربعون منها:

١- تفسير الميزان، وكان له أهمية كبيرة ومنعطف كبير في طريقة التفسير، حيث كان العلامة أول من أثار انتباه الأمة الإسلامية إلى أهمية هذا الأسلوب التفسيري الذي عرف في ما بعد بـ (تفسير القرآن بالقرآن).

٢- أصول الفلسفة والمذهب الواقعي، وهو عبارة عن مجالس علميّة عقدها العلّامة في البحث المقارن بين فلسفة الشرق والغرب. وقد نُشر في خمس مجلدات مع تعليقات وشروحات تلميذه الشهيد مطهري.

٣- حاشية على كتاب «الأسفار الأربعة» لصدر المتألهين، والذي درّسه رغم الصعوبات التي واجهته أثناء تدريسه.

٤- بداية الحكمة، وهو كتاب ألّفه للمبتدئين في دراسة الفلسفة.

٥- الرسائل التوحيدية، وهي رسائل ثلاث في طبيعة الإنسان قبل الدنيا، وفي الدنيا، وبعد الدنيا.

٦- الرسائل السبع، وهو مجموعة تحتوي على رسائل فلسفية وهي البرهان، والمغالطة، والتركيب، والتحليل، والاعتباريات، والمنامات والنبوات، والقوة والفعل.

٧- الشيعة في الإسلام، تُرجم إلى الإنجليزيّة ٨- من قبل السيد حسين نصر.

٩- حاشية الكفاية.

١٠- رسالة الولاية.

١١- رسالة التشيُّع.

١٢- رسالة محمد في المنهج الإسلامي.

١٣- تعليقة على كتاب أصول الكافي.

١٤- رسالة في العشق.

١٥- رسالة في الحكومة الإسلامية.

١٦- رسالة في الصفات.

١٧- سنن النبي.

وفاته

كانت محبة آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله تمثل الحجر الأساس لشخصية العلامة الطباطبائي، فقد كان يعشق الأئمة المعصومين عليهم السلام بشكل لا يوصف، ويذعن لأحاديثهم وتعاليمهم، ويخضع لها بكل احترام وإجلال، بل حتى الأحاديث التي لا تمتلك سنداً موثوقاً، كان يحرص على وضعها جانباً باحترام، وكان يحاول جاهداً حضور مجال العزاء التي كانت تقام بمناسبة استشهاد الأئمة عليهم السلام فيذرف الدموع وهو ما تجلّى في كلماته التي نطق بها في آخر لحظات حياته الشريفة وهو على فراش الموت قائلاً: (ها قد حضر من كنت أنتظر أن يشرفوني بمجيئهم إلى هذه الغرفة).

نعم ففي صبيحة يوم الأحد الثامن عشر من محرم سنة ١٤٠٢هـ نزع خلعة البدن وغادر هذه الدنيا إلى جوار ربه في النعيم المقيم.

٣- ريحانة الأدب، في تراجم المعروفين بالكنية واللقب، محمد علي التبريزي الخياباني (٣/ ٢٩٧).

٤- محمد حسين الطباطبائي مفسراً وفيلسوفاً / مركز الحضارة / تعريب عباس صافي ص٤٤.

٥- أصول التفسير والتأويل ص ٤٥.

لطائف قرآنية

هناك فرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[2].

في الآية الأولى في سورة الإسراء الأهل ليسوا فقراء أصلاً وعندهم ما يكفيهم ولا يخشون الفقر، ولكنهم

١ـ سورة الاسراء، الآية ٣١.

٢ـ سورة الانعام، الآية ١٥١.

تأويل آية

في سورة يس جملة من الآيات في الأئمة الهداة منها قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[1].

عَنْ هَارُونَ بْنِ الْجَهْمِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّه عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام أُعْطِيَ مِنَ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ حَرْفَيْنِ كَانَ يَعْمَلُ بِهِمَا، وَأُعْطِيَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عليه السلام أَرْبَعَةَ أَحْرُفٍ، وَأُعْطِيَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام ثَمَانِيَةَ أَحْرُفٍ، وَأُعْطِيَ نُوحٌ عليه السلام خَمْسَةَ عَشَرَ حَرْفاً، وَأُعْطِيَ آدَم عليه السلام خَمْسَةً وَعِشْرِينَ حَرْفاً، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَإِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفاً أَعْطَى مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ حَرْفاً وَحَجَبَ عَنْهُ حَرْفاً اسْتَأْثَرَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ.

المصدر : البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج٤،ص ٢١٧.

١ـ سورة يس، الآية ١٢.

كلمات قد تفهم خطأ

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾

العفو هنا هو الفضل والزيادة، أي أنفقوا مما فضل وزاد عن قدر الحاجة من أموالكم، وليس العفو أي التجاوز والمغفرة.

هل تعلم

إن أصغر عدد ذكر في القرآن هو (عُشر) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

يخشون الفقر في المستقبل إذا أنجبوا بأن يأخذ المولود جزءاً من رزقهم ويصبح الرزق لا يكفيهم هم وأولادهم ويصبحوا فقراء، فخاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ ليطمئنهم على رزقهم أولاً، ثم رزق أولادهم ولهذا قدّم الله تعالى رزقهم على ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾، لأنه تعالى يرزق المولود غير رزق الأهل، ولا يأخذ أحد من رزق الآخر.

أما في الآية الثانية فهم فقراء في الأصل، وهمّهم أن يبحثوا عن طعامهم أولاً، ثم طعام من سيأتيهم من أولاد فالله تعالى يطمئن الأهل أنه سيرزقهم هم أولاً، ثم يرزق أولادهم لأن الأهل لهم رزقهم والأولاد لهم رزقهم أيضاً

من روائع البلاغة في القرآن الكريم

تتجلى الروعة والابداع القرآني في جملة من الكلمات المؤثرة، وهو ما يسمى في روائع بلاغة القرآن الكريم بـ (الألفاظ الاهتزازية)، وهي ألفاظ تشعرك بشدتها وقوتها واهتزازها من خلال تكرار حرفين متتاليين أو تكرار كلمة كاملة قوية اهتزازية لبيان أحداثٍ في غاية الأهمية، ومن أمثلة ذلك في الآيات القرآنية المباركة قوله تبارك وتعالى:

* عندما أخبرنا الله جلّ وعلا عن الأرض: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (سورة الزلزلة، الآية١) وفيها لفظة (زل - زل).

* وعندما غضب الله سبحانه وتعالى على قوم صالح الذين عصوا أمر الله ورسوله وعقروا الناقة تأتي لفظة: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ (سورة الشمس)، الآية ١٤) وفيها لفظة (دم ـ دم).

* وعندما تنكشف الحقيقة وبقوة عن ظلامة يوسف الصّديق لعشر سنوات يقبع فيها في السجن ظلماً من قبل زليخا تأتي لفظة: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ (سورة يُوسُف، الآية ٥١) وفيها لفظة (حص- حص).

* وعندما يتحدث القرآن عن حدث مهم تقشعر له الأبدان يوم القيامة تأتي لفظة: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (سورة الفَجر، الآية٢١) وفيها لفظة (دكا ـ دكا).

* وعندما يتحدث القرآن عما أعد لأهل الجنة من نعيم تأتي لفظة: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (سورة الرَّحمٰن، الآية ٧٦) وفيها لفظة (رف ـ رف).

* وعندما يتحدث عن شدة ظلمة الليل تأتي لفظة: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (سورة التَّكوير، الآية ١٧) وفيها لفظة (عس ـ عس).

إذاعة الجوادين

صوت العتبة الكاظمية المقدسة

بغداد FM 89.5

بابل FM 98.1

واسط FM 90.9

البصرة FM 91.1

ذي قار FM 106.7

بإمكانكم المشاركة في برامج إذاعة الجوادين

عبر الاتصال على الأرقام التالية:

٠٧٨٣٣٢٥٤١١٣ - ٠٧٧٠٠٦٢٦٢٩٧